نقض رأي ابن تيمية في إسلام معاوية

المؤلف
حسن بن فرحان المالكي

نقض رأي ابن تيمية في إسلام معاوية

قراءة في آراء ابن تيمية في معاوية بن أبي سفيان

تأليف
حسن بن فرحان المالكي
مركز الدراسات التاريخية

تمهيد:

لا نستطيع معرفة العدل إلا مع الجهل بالعادلين، كما أنه لا يمكننا أن نجتنب الظلم ونحن نحب الظالمين؛ ومن هذا الباب أصبح المتدين ظالماً إلا من رحم الله، وأصبح غير المتدين أكثر عدلاً وإنسانية.. هذه من أسوأ الدعايات ضد الدين، وهو من أكبر أعذار غير المسلمين في امتناعهم عن الدخول في الإسلام، وفي اجتهادي المتواضع أن غير المسلم إذا ظن أن هؤلاء الكذبة والظلمة من العلماء هم الممثلون للدين فهو معذور في بقائه على عقيدته أياً كانت، بشرط أن يلتزم بالمباديء العالمية العامة من عدل وصدق وأمانة واجتناب للمظالم من قتل وسرقة وإساءة إلى الآخرين، لأن الله هو العدل المطلق، وموازينه في محاسبة الخلق أدق الموازين، ولا يظن المتمذهبون من المتدينين أن الله سيرجع إلى ميزان أحمد بن حنبل أو مالك أو ابن تيمية أو غيرهم من البشر مع اختلاف تلك الموازين دقة واختلالاً، ولعل من أكثر موازين أهل العلم من المسلمين اختلالاً هو ميزان ابن تيمية، فهناك موضوعان اثنان، يفقد فيهما ابن تيمية فيهما الحد الأدنى من التوازن، وهما النصب والتشبيه، من حيث نصرتهما ومحاربة ضديهما (التشيع والتنزيه)، فهو في هذين الموضوعين لا يتمالك نفسه، ويفعل العجائب.

[نموذج]

وكلام ابن تيمية في موضوع من الموضوعين يحتاج مجلدات لكثرة الأخطاء غير المغتفرة وشدة التلبيس غير المكتشف بسهولة، فرأيت أنه عوضاً عن التطويل المملول، يمكن إخراج بحث صغير في مناقشة ابن تيمية في موضوع واحد، فرأيت أن أخرج مناقشة لجوابه على سؤال في معاوية، وكان قد طبعه قديماً الشيخ صلاح الدين المنجد، وأشرب به الشباب السعودي النصب الخفي، ذلك النصب الذي لا يكتشفه أكثر الشباب، وأتذكر هنا قول أبي بن كعب في أهل العقدة (والله ما آسى عليهم ولكن آسى على من يضلونهم من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم)[1].

فرأيت أن أختار مناقشة ذلك المقطع أمام القاريء السلفي البسيط الذي يكون مستعداً لقبول الدليل – وفي شباب السلفية خير كثير، والخير نادر في شيوخهم- ولكن قبل إيراد السؤال وجواب ابن تيمية عليه ومناقشة ذلك الجواب، لا بد أن أعترف بأنني أدين لابن تيمية بكثير من الفضل عليَّ –

---

[1] أهل العقدة المراد بهم أناس تعاقدوا على أمر، كما يتعاقد المتمذهبون اليوم على كثير من الأمور، والحديث رواه أبي بن كعب الأنصاري وبه اشتهر، وحذيفة بن اليمان، وعمر (ولم أجده عنه) وابن مسعود عند الترمذي (شاهد)، وقد رواه عن أبي بن كعب كل من: قيس بن عباد عند الطيالسي وأحمد وصحيح ابن خزيمة غيرهم)/ وجندب بن كعب عن أبي بن كعب في طبقات ابن سعد والزهد لأحمد)، وعتي بن ضمرة السعدي عن أبي بن كعب عند الطبراني) و الحسن بن عمر العوفي أو العوقي عن أبي بن كعب (عند ابن شاذان من طريق ابن إسحاق صاحب المغازي)،و قد أرسله الحسن عن أبي بن كعب أيضاً. وأسانيد القصة بين الصحيح والحسن عن أبي بن كعب خاصة، وقد صحح أسانيده المعاصرون كشعيب الأرناؤوط وحبيب الرحمن الأعظمي وغيرهم.

وإن لم يكن قاصداً لهذا الفضل- فقد تعلمت منه عند قراءة كتبه، فهو أشهر من قرأت له مستفيداً ومتعقباً، وقد أدخلني في محارات قبل أن أعرفه، فدفعتني تلك المحارات للبحث والبحث، حتى عرفت أشياء كثيرة وإن كانت على الضد مما قرره، والسلفي الذي يستطيع الخروج من شبهات ابن تيمية ومحاراته فقد اهتدى للسلفية القديمة، فالرجل حاجز كبير بين السلفية المتأخرة وسلفية صالحي الصحابة والتابعين، وهو صاحب منطق يمتلك قوة في إقناع المبتدئين من طلبة العلم السلفيين، خاصة الذين يثقون في نقولاته عامة، سواء ما ينقل من أحاديث أو آثار أو أقوال علماء أو إجماعات..الخ، ويصعب أن يكتشف السلفي زيف ابن تيمية مادام أنه لا يقرأ إلا له ولمن ينقل عنه من المدرسة نفسها، فإذا أراد أن يعرف ابن تيمية فعليه أن يقرأ المصادر الأولى من حديث وتاريخ وفقه وتفسير وكتب الرجال (وخاصة إنتاج القرون الثلاثة الأولى) وقبل هذا أن يكون عنده استحضار للقرآن الكريم فيما يخص التاريخ والسيرة والنفس البشرية والمؤثرات فيها، عندئذ يستطيع السلفي اكتشاف الزيف بسهولة في أقوال ابن تيمية ونقولاته وتصحيحاته وتضعيفاته.

ولي مع ابن تيمية قصة طويلة بدأت من قبل أكثر من عشرين سنة، لا يحتاج القاريء إلى سردها، ويكفي في الاختصار القول بأنني تدرجت في نقد ابن تيمية ولم يأت نقدي له فجأة، ولم أكن أعرفه تمام المعرفة، فكنت أستدرك عليه الأحاديث التي ينفي وجودها في كتب السنة، ثم تطور النقد إلى مقارنة الأحاديث التي يضعفها وهي صحيحة عند أهل الحديث، أو العكس التي يصححها وهي ضعيفة، (والغريب أني وجدت بالاستقراء أن الأحاديث التي يضعفها وهي صحيحة عند أهل الحديث تكون في فضائل الإمام علي أو أحد أهل البيت أو شيعتهم كأبي ذر ونحوه، كما أن الأحاديث التي يصححها وهي ضعيفة أو موضوعة تكون في فضائل الثلاثة أو معاوية، ومن هنا بدأت أكتشف أنه صاحب هوى لكنه شديد التقية)، ثم كان للحافظ ابن حجر رحمه الله الدور الأبرز في تثبيت يقيني بنصب ابن تيمية سواء ما أورده في ترجمته في الدرر الكامنة، أو في لسان الميزان، وخاصة عندما نص صراحة على أن ابن تيمية يتنقص علياً، وابن حجر هو إمام الجرح والتعديل عند المتأخرين، ومع ذلك كنت أزداد يوماً بعد يوم بأن ابن تيمية منحرف عن الإمام علي وأهل بيته عليهم السلام، وتطور بعد ذلك النقد إلى نقد تأويله للأحاديث الصحيحة التي لا تعجبه إلى المبالغة في معاني الأحاديث التي تعجبه، إلى النقد الشامل في أمور الحديث والتاريخ وربما العقائد (وخاصة التجسيم)..الخ

إذن فلا يظن بعضهم أنني متسرع في نقده، ولا يفيد اتهامات مقلديه لمن يرد على ابن يتمية، فإن من يرد على ابن تيمية من أهل السنة أكثر ممن يرد عليه من أصحاب الفرق الأخرى، فلا يحاولن المقلدون له أن يلصقوا تهمة التشيع والتصوف بكل من نقده، لأن هذا لا يفيد في معرفة الحقيقة، وغاية ما في هذا الإلصاق أنه يؤخر اكتشاف ابن تيمية بضع سنين، أما أن تلغي المعلومات فلن تلغيها.

وأقول لطلبة العلم من شباب السلفية خاصة، لا يغرنكم شيوخكم ولا تنتظروا أن يكون عذركم يوم القيامة (إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا) فإذا كنتم طلبة علم فإنكم تستطيعون أن

تكتشفوا بعض الحقائق المغيبة عنكم، وإذا اكتشفتم القليل فإنه قائد لكم إلى الكثير، ولا يجوز أن تكون شهادتكم للمذهب، اجعلوا شهادتكم لله، فهو أغلى من المذهب وأولى بأن تخلصوا له الشهادة، ولا تشركوا به شيئاً في شهادتكم ولا في علمكم، فأنتم مسئولون عن العلم، ولا يصرفكم غلو من غلا من الشيعة إلى الانشغال بهم عن ترميم البيت الداخلي، ثم ما الذي ستضيفونه في الرد على الشيعة والصوفية؟ قد كفاكم كثيرون بحق وبباطل، ولا عليك من باطل ليس في قلبك، اهتم بالباطل الذي في قلبك وعقلك فأمطه عن نفسك أولاً ، لأنه ما سيسألك الله عنه، ولن يسألك عن أمر قامت به الكفاية.

أنت يا أخي ياطالب العلم السلفي، تحتاج أن تعرف عيوب عقيدتك من نصب وتجسيم، ومحاربة للعقل والمنطق والعدل ... هذه عيوب كبيرة لا تظنها يسيرة، لأن لها آثارها على كل القيم الروحية من عدل وصدق وأمانة وشهادة لله لا للمذهب و..الخ، وهذه المباديء الروحية هي روح الإسلام وبتقصيرنا فيها – لا في الصلاة والصوم- تخلف المسلمون وذهبت ريحهم، فانج نفسك ولا يضرك كثرة الهالكين والظالمين والمغفلين..

وفي موضوعنا أترك كل التأويلات السمجة التي يعتذر بها الموغلون في التقليد لابن تيمية، فلا تلتفت إلى اعتذارهم السمج عنه في ذمه لمن يحبه الله ورسوله، بزعمهم أن له مقاصد خفية لا يعرفها طلبة العلم الصغار! ومنها زعموا؛ التقليل من الغلو الشيعي! وهذا ليس صحيحاً بل بسبب ابن تيمية ازداد الغلو الشيعي وقامت مذاهب ودول وتشيع كثير من أهل السنة، لأن السني الحق عندما يرى ذم ابن تيمية للإمام علي وأهل البيت يتألم ويصدق ما يروجه كثير من الشيعة بأن أهل السنة نواصب، فيتحول إلى الشيعة ويقول لأن أكون مع آل محمد علناً خير من أن أكون ضدهم خفية، وربما لو عرف كتابات ومؤلفات أهل السنة المنصفين كالنسائي (في خصائص أمير المؤمنين علي) وابن عبد البر (في الاستيعاب) والحاكم (في المستدرك) والمقبلي (في العلم الشامخ) والغماري (في سائر كتبه) ومحمود سعيد ممدوح (في التبجيل) وابن الأمير الصنعاني صاحب سبل السلام (في التحفة العلوية) وابن شهاب الحضرمي، ومحمد بن عمر بن عقيل (في النصائح وتقوية الإيمان وثمرات المطالعة) وغيرهم كثير من أهل السنة قديماً وحديثاً، ربما لو علم السني المنصف بكتاباتهم لما رأى ضرورة للتحول الكبير من منهاج السنة إلى بحار الأنوار، يجب أن يعلم السني أن لأهل البيت سراً كبيراً فلا يمكن ذمهم بسهولة، ولا يمكن إقناع المؤمن الذي يحب علياً بأن ابن تيمية ليست له إساءات لأهل البيت وغلواً في معاوية وأمثاله.. هذه لا يمكن أن يبلعها السني الذي أراد الله له الهداية، لا يمكن أن يقتنع ذو إنصاف بأن ما فعله ابن تيمية من تشبيهه علياً بفرعون، وفاطمة بالمنافقين، أن هذا إنصاف وسنة وعقيدة سليمة مهما قامت الدعايات والاعتذارات والأموال والقنوات الفضائية ..الخ، بل على العكس هذه ستزيد من الشك في السنة وأهلها، بأنها سنة أموية لا نبوية، وان أهلها هم نواصب لا أهل سنة، فالأولى أن يترك علماء السلفية وباحثوهم مساحات واسعة لمن أراد أن يختار نقد ابن تيمية مع بقائه في دائرة السنة، فالسنة النبوية أهم من ابن تيمية، أما أن تجعلوا كل من نقد ابن تيمية مبتدعاً فأبشروا بكثرة التاركين لسنتكم هذه، لسبب يسير، وهو أن محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يبغض علياً ولا

فاطمة ولا الحسن والحسين.. هكذا بكل اختصار، ولتبقوا أنتم في الاعتذارات عن ابن تيمية وتبديع من خالفه حتى لا يصبح معكم إلا من طمس الله على بصيرته وأعمى قلبه وأضله على علم، عندئذ ستذكرون نصيحتنا هذه، وتتمنون لو تعصبتم لسنة محمد (ص) لا سنة ابن تيمية.

التقليل من الغلو الشيعي لا يكون بذم علي والتقليل من شأنه ! لا أظن أحداً من المهتمين بابن تيمية وكتبه إلا وهو يعرف أن ابن تيمية منحرف عن علي والحسين خاصة، بل سمعتم عن بعضكم اعترافهم بوجود عبارات نابية في حق الإمام علي واعتذارهم بأن هذا يصب في (صالح الإسلام)! لأن الشيعة مغالون فيه !! وهذا القول يشبه الفتوى بجواز الكذب على الخصوم نصرة لدين الله! وعلى هذا إذا أردنا الرد علي الصوفية فعلينا أن نذم النبي (ص) حتى لايبالغ فيه الصوفية !! نعوذ بالله من ذلك .

وكذا على هذا المنهج العجيب يمكن أن نسوغ ذم نبي الله عيسى عليه السلام لغلو النصارى فيه واتخاذه إلهاً فهذا لا يقوله مسلم عاقل يعرف معنى الصدق والعدل ، فالواجب هو رد الغلو بالاعتدال ورد البدعة بالسنة ورد الباطل بالحق لارد الباطل بباطل .

ثم إن كنتم صادقين في تبرير عبارات ابن تيمية في حق الإمام علي فلماذا تنكرون علينا بعض العبارات في نقد ابن تيمية مع أنها أخف مما يقوله في علي؟! والفرق بيننا وبينه أننا نقولها بلا تقية ولا تحايل، وهو يقولها بتقية أخفى من تقية غلاة الشيعة، والدليل على ذلك أنكم مختلفون في فك هذه العبارات إلى اليوم وكأنها طلاسم!

ثم على افتراض أن ذم ابن تيمية للإمام علي هو من باب رد غلو شيعته، فلماذا لا تعتبرون نقد من نقد ابن تيمية من باب رد الغلو فيه من قبل مقلديه الذين أصبح عندهم مخالفة الآيات والأحاديث أخف من مخالفة قول قاله شيخ الإسلام ؟!

وأصبحت كلمة (رجحه شيخ الإسلام) أو (نصره شيخ الإسلام) تعني الدعوة لتقليده، وعدم التفكير في الإقدام على تصحيح من ضعفه أو تضعيف من صححه أو توثيق من جرحه أو جرح من وثقه .... الخ .

فالغلو في ابن تيمية لا يحتاج لتدليل وليس العتب على المغالين إنما العتب على من يقرون هذا الغلو في ابن تيمية وينكرون على من نقده بعلم واحتفظ له بحق الإسلام والعلم والفضل وترحم عليه وسأل الله له المغفرة ، فالذي يقوم بهذا عندهم أسوأ ممن يغلو فيه ويقلده وهذا مقياس ظالم غير محكوم بالشريعة .

[لا نقر الغلو الشيعي]

نؤكد على استقلاليتنا، ما أمكننا إلى ذلك سبيلاً، فردنا على من ينتقص النبي (ص) أو علياً أو أهل البيت لا يعني أقرار الغلو والخرافات التي يرويها بعض الشيعة والصوفية في النبي (ص) والغلو في علي بن أبي طالب، فمن حقنا أن ننكر هذه الخرافات ونردها، مثلما من حقنا أن نرد على غلاة التيمية وغلاة السلفية والنواصب، أما أن تفتح السلفية لأتباعها باب محاربة الغلو في النبي (ص) وأهل البيت، وتوصد أمام الأتباع باب محاربة الغلو في أبي بكر وعمر وأمثالهم من الصالحين، أو مدح معاوية والحجاج وأمثالهم من الظالمين، فهذا ظلم ونصب بين.

وسيرى القارىء الكريم - إن استصحب الشهادة لله لا لابن تيمية- في هذا البحث الصغير ما يغني عن كثير من الدراسات المتحايلة التي تحاول تبرئة ابن تيمية، فقد اخترت أن أرد على جواب أجابه ابن تيمية على سؤال وجهه لنفسه في معاوية[2].

فأجاب بجواب فيه الكثير من النصب (ومن النصب الغلو في معاوية) والأخطاء الحديثية والتاريخية، والغريب أنه حاول أن يحكم بالردة على من شكك في إسلام معاوية – مع أن التشكيك علمي ومشهور عند الصحابة- بينما هو نفسه يشكك في صحة إسلام علي بن أبي طالب مع قبول النبي (ص) له واستغنائه عن أي تشكيك، وليس الغريب ما يقوله ابن تيمية بعد أن عرفناه، إنما الغريب جمود قلوب أتباعه ومقلديه وموت ضمائرهم في التعتيم على هذه الفواحش العلمية، والآن إلى السؤال وجواب ابن تيمية والجواب على الجواب.

نص السؤال الموجه لابن تيمية من ابن تيمية نفسه!

من (مجموع الفتاوى 4 / 453- 480)

سئل الشيخ رحمه الله! :

عن إسلام معاوية بن أبي سفيان متى كان ؟

وهل كان إيمانه كإيمان غيره أم لا ؟

وما قيل فيه - أي في معاوية - غير ذلك ؟

فأجاب ابن تيمية جواباً مطولاً كعادته بلغ نحو عشرين صفحة ومعظمه خارج موضوع السؤال، فأدخل فيه فضائل الخلفاء وفضائل بني أمية والطلقاء مع ذم الفاطميين كعادته في هذه الموضوعات التي يحرض على الدعوة فيها أكثر من الجواب..

نص جواب ابن تيمية على نفسه!!

[وسأجعل رقم الملحوظة عند لفظها لتعرفوا أن الرجل لا يمتلك دلالات الألفاظ ولا يبالي بما يقول]

مجموع الفتاوى - (4 / 453 - 480) : فَأَجَابَ :

[2] يجب أن يعرف طلبة العلم بأن ما يسمى (مجموع فتاوى ابن تيمية) إنما هي أسئلة وجهها ابن تيمية لنفسه وأجاب عليها متشبعاً بما لم يعط، حتى يظهر للناس أن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها يرسلون إليه مستفتين .. الخ، وطالب العلم يستطيع أن يكتشف هذا بسهولة سواء في لغة السؤال أو في هذه الكثرة التي لم تعهد من قبل ، فما هذه الصحوة الاستفتائية التي تفجرت في عهد ابن تيمية وانطفأت قبله وبعده! (ولي دراسة مفصلة في هذا الأمر، يسر الله نشرها، تعطي ما لا يدع مجالاً للشك أن الأسئلة إنما هي من ابن تيمية نفسه، فلم يرسل أهل واسط ليصنف لهم (الواسطية) ولا أهل حماة ليصنف لهم (الحموية) فضلاً عن مئات الأسئلة من أقطار الأرض! التي تم نشرها في الفتاوى) فابن تيمية يستهتر بعقول العامة، ومقلدوه هم عامة وإن تسموا بالعلماء.

إيمَانُ (1) " مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ " - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (2) – ثَابِتٌ (3) بِالنَّقْلِ (4) الْمُتَوَاتِرِ(5) وَإِجْمَاعِ (6) أَهْلِ الْعِلْمِ (7) عَلَى ذَلِكَ ؛ كَإِيمَانِ (8) أَمْثَالِهِ مِمَّنْ آمَنَ (9) عَامَ فَتْحِ مَكَّة مِثْلَ (10) أَخِيهِ " يَزِيدَ " بْنِ أبي سُفيَانَ وَمِثْلَ (11) سُهَيْلِ بْنِ عَمْرو وَصَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ (12) وَعِكْرِمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ (13) وَالْحَارِثِ بْنِ هِشَام (14) وَأَبِي أَسَدِ بْنِ أَبِي العاص بْنِ أُمَيَّةَ (15) وَأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ .
فَإِنَّ هَؤُلَاءِ يُسَمَّوْنَ (16) " الطُّلَقَاءَ " : فَإِنَّهُمْ آمَنُوا (17) عَامَ فَتْحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ قَهْرًا (18) وَأَطْلَقَهُمْ وَمَنَّ عَلَيْهِمْ وَأَعْطَاهُمْ وَتَأَلَّفَهُمْ
وَقَدْ رُوِيَ (19) : أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ أَسْلَمَ قَبْلَ ذَلِكَ (!) وَهَاجَرَ كَمَا أَسْلَمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَعَمْرُو بْنُ العاص وَعُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ الحجبي - قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ - وَهَاجَرُوا إلَى الْمَدِينَةِ (19) فَإِنْ كَانَ هَذَا صَحِيحًا فَهَذَا مِنْ الْمُهَاجِرِينَ (20) .
وَأَمَّا إسْلَامُهُ عَامَ الْفَتْحِ مَعَ مَنْ ذَكَرَ فَمُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ(21) ؛ سَوَاءٌ كَانَ أَسْلَمَ قَبْلَ ذَلِكَ أَوْ لَمْ يَكُنْ إسْلَامُهُ إلَّا عَامَ فَتْحِ مَكَّةَ ؛ وَلَكِنَّ بَعْضَ الْكَذَّابِينَ (22) زَعَمَ : أَنَّهُ عَيَّرَ أَبَاهُ بِإِسْلَامِهِ وَهَذَا كَذِبٌ (23) بِالِاتِّفَاقِ (24) مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ (25) . وَكَانَ هَؤُلَاءِ الْمَذْكُورُونَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ إسْلَامًا (26) وَأَحْمَدُهُمْ سِيرَةً (27)! لَمْ يُتَّهَمُوا بِسُوءِ (28) وَلَمْ يَتَّهِمْهُمْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ (29) بِنِفَاقِ (30) كَمَا اُتُّهِمَ غَيْرُهُمْ (31)! بَلْ ظَهَرَ مِنْهُمْ مِنْ حُسْنِ الْإِسْلَامِ (32) وَطَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ (33) وَحُبِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ (34) وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ (35) وَحِفْظِ حُدُودِ اللَّهِ (36) مَا دَلَّ عَلَى حُسْنِ إيمَانِهِمْ الْبَاطِنِ (37) وَحُسْنِ إسْلَامِهِمْ (38)، وَمِنْهُمْ مَنْ أَمَّرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاسْتَعْمَلَهُ نَائِبًا لَهُ (39) كَمَا اسْتَعْمَلَ عَتَّابَ بْنَ أَسِيدٍ أَمِيرًا عَلَى مَكَّةَ نَائِبًا عَنْهُ (40) وَكَانَ مِنْ خِيَارِ الْمُسْلِمِينَ (41) كَانَ يَقُولُ : يَا أَهْلَ مَكَّةَ وَاَللَّهِ لَا يَبْلُغُنِي أَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ قَدْ تَخَلَّفَ عَنْ الصَّلَاةِ إلَّا ضَرَبْت عُنُقَهُ (42).

[ثم استطرد ابن تيمية مثرثراً كعادته فقال]

وَقَدْ اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " أَبَا سُفْيَانَ " بْنَ حَرْبٍ - أَبَا مُعَاوِيَةَ - عَلَى نَجْرَانَ (43) نَائِبًا لَهُ (44) وَتُوُفِّيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو سُفْيَانَ عَامِلُهُ عَلَى نَجْرَانَ (45) . وَكَانَ مُعَاوِيَةُ أَحْسَنَ إسْلَامًا مِنْ أَبِيهِ (46) بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْعِلْمِ (47)كَمَا أَنَّ أَخَاهُ " يَزِيدَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ " كَانَ أَفْضَلَ مِنْهُ وَمِنْ أَبِيهِ (48) ؛ وَلِهَذَا (49) اسْتَعْمَلَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى قِتَالِ النَّصَارَى (50) حِينَ فَتَحَ الشَّامَ (51) وَكَانَ هُوَ أَحَدُ الْأُمَرَاءِ الَّذِينَ اسْتَعْمَلَهُمْ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَوَصَّاهُ بِوَصِيَّةٍ مَعْرُوفَةٍ نَقَلَهَا أَهْلُ الْعِلْمِ وَاعْتَمَدُوا عَلَيْهَا وَذَكَرَهَا مَالِكٌ فِي الْمُوَطَّأِ وَغَيْرِهِ وَمَشَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي رِكَابِهِ مُشَيِّعًا لَهُ فَقَالَ لَهُ : يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ إمَّا أَنْ تَرْكَبَ وَإِمَّا أَنْ أَنْزِلَ فَقَالَ : لَسْت بِنَازِلِ وَلَسْت بِرَاكِبِ أَحْتَسِبُ خُطَايَ هَذِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (52).
وَكَانَ عَمْرُو بْنُ العاص أَحَدَ الْأُمَرَاءِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ أَيْضًا (!) وَقَدَّمَ عَلَيْهِمْ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ لِشَجَاعَتِهِ وَمَنْفَعَتِهِ فِي الْجِهَادِ .
فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو بَكْرٍ وَلَّى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَبَا عُبَيْدَةَ أَمِيرًا عَلَى الْجَمِيعِ ؛ لِأَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ شَدِيدًا فِي اللَّهِ (53) فَوَلَّى أَبَا عُبَيْدَةَ لِأَنَّهُ كَانَ لَيِّنًا (54)، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

لَيِّنًا (55) وَخَالِدٌ شَدِيدًا عَلَى الْكُفَّارِ (56) فَوَلَّى اللَّيِّنُ الشَّدِيدَ (57) وَوَلَّى الشَّدِيدُ اللَّيِّنَ (58)؛ لِيَعْتَدِلَ الْأَمْرُ (59) وَكِلَاهُمَا فَعَلَ مَا هُوَ أَحَبُّ إلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي حَقِّهِ (60)

[ثم استطرد مثرثراً في فضائل أبي بكر وعمر فقال]

فَإِنَّ نَبِيَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْمَلُ الْخَلْقِ وَكَانَ شَدِيدًا عَلَى الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ (61) وَنَعَتَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَكْمَلِ الشَّرَائِعِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي نَعتِ أُمَّتِهِ : { أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ } وَقَالَ فِيهِمْ : { أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ } .
وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ (61): { أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا اسْتَشَارَ أَصْحَابَهُ فِي أَسَارَى بَدْرٍ وَأَشَارَ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَأْخُذَ الْفِدْيَةَ مِنْهُمْ وَإِطْلَاقَهُمْ وَأَشَارَ عَلَيْهِ عُمَرُ بِضَرْبِ أَعْنَاقِهِمْ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنَّ اللَّهَ يُلِينُ قُلُوبَ رِجَالٍ فِيهِ حَتَّى تَكُونَ أَلْيَنَ مِنْ اللَّبَنِ وَيُشَدِّدُ قُلُوبَ رِجَالٍ فِيهِ حَتَّى تَكُونَ أَشَدَّ مِنْ الصَّخْرِ وَإِنَّ مَثَلَك يَا أَبَا بَكْرٍ مَثَلُ إبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ إذْ قَالَ : { فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّك غَفُورٌ رَحِيمٌ } وَمَثَلُ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ إذْ قَالَ : { إنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُك وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّك أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } وَمَثَلَك يَا عُمَرُ مَثَلُ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ إذْ قَالَ : { رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا } وَمَثَلُ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ إذْ قَالَ : { رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ } } وَكَانَا فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا نَعَتَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَا هُمَا وَزِيرَيْهِ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ (62).
وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا { أَنَّ سَرِيرَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا وُضِعَ وَجَاءَ النَّاسُ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَالْتَفَتّ فَإِذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ : وَاَللَّهِ مَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ أَحَبُّ إلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى بِعَمَلِهِ مِنْ هَذَا الْمَيِّتِ . وَاَللَّهِ إنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْشُرَك اللَّهُ مَعَ صَاحِبَيْك فَإِنِّي كَثِيرًا مَا كُنْت أَسْمَعُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ . دَخَلْت أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَخَرَجْت أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَذَهَبْت أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ } (63) .
ثُمَّ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ { لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْهَزَمَ أَكْثَرُ الْمُسْلِمِينَ فَإِذَا أَبُو سُفْيَانَ وَكَانَ الْقَوْمُ الْمَرَامَ (1) إذْ قَالَ : أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ ؟ أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ ؟ أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تُجِيبُوهُ ثُمَّ قَالَ : أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ ؟ أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ ؟ أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تُجِيبُوهُ فَقَالَ : أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ ؟ أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ ؟ أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تُجِيبُوهُ } الْحَدِيثُ بِطُولِهِ فَهَذَا أَبُو سُفْيَانَ قَائِدُ الْأَحْزَابِ لَمْ يَسْأَلْ إلَّا عَنْ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ : عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لِعِلْمِهِ بِأَنَّ هَؤُلَاءِ هُمْ رُءُوسُ عَسْكَرِ الْمُسْلِمِينَ .
وَقَالَ الرَّشِيدُ لِمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ : أَخْبِرْنِي عَنْ مَنْزِلَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : مَنْزِلَتُهُمَا مِنْهُ فِي حَيَاتِهِ كَمَنْزِلَتِهِمَا بَعْدَ وَفَاتِهِ فَقَالَ : شَفَيْتَنِي يَا مَالِكُ
فَلَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاسْتَخْلَفَ أَبَا بَكْرٍ (!!) جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ مِنْ الشِّدَّةِ مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ قَبْلَ ذَلِكَ حَتَّى فَاقَ عُمَرَ فِي ذَلِكَ حَتَّى قَاتَلَ أَهْلَ الرِّدَّةِ بَعْدَ أَنْ جَهَّزَ جَيْشَ أُسَامَةَ وَكَانَ ذَلِكَ تَكْمِيلًا لَهُ لِكَمَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي صَارَ خَلِيفَةً لَهُ (!!).

وَلَمَّا اسْتُخْلِفَ عُمَرَ جَعَلَ اللَّهُ فِيهِ مِنْ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ قَبْلَ ذَلِكَ تَكْمِيلًا لَهُ حَتَّى صَارَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (!!) وَلِهَذَا (!!) اسْتَعْمَلَ هَذَا (يقصد أبو بكر)خَالِدًا ؛ وَهَذَا (يقصد عمر)أَبَا عُبَيْدَةَ (!!) وَكَانَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ عَلَى الشَّامِ (!!)؛ إلَى أَنْ وُلِّيَ عُمَرُ (!!)؛ فَمَاتَ (!!) يَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ ؛ فَاسْتَعْمَلَ عُمَرُ مُعَاوِيَةَ مَكَانَ أَخِيهِ يَزِيدَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ وَبَقِيَ مُعَاوِيَةُ عَلَى وِلَايَتِهِ تَمَامَ خِلَافَتِهِ وَعُمَرُ وَرَعِيَّتُهُ تَشْكُرُهُ وَتَشْكُرُ سِيرَتَهُ فِيهِمْ وَتُوَالِيهِ وَتُحِبُّهُ لِمَا رَأَوْا مِنْ حِلْمِهِ وَعَدْلِهِ ؛ حَتَّى أَنَّهُ لَمْ يَشْكُهُ مِنْهُمْ مُشْتَكٍ وَلَا تظلمه مِنْهُمْ مُتَظَلِّمٌ ، وَيَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ لَيْسَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنَّمَا وُلِدَ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ ؛ وَإِنَّمَا سَمَّاهُ يَزِيدَ بَاسِمِ عَمِّهِ مِنْ الصَّحَابَةِ . وَقَدْ شَهِدَ مُعَاوِيَةُ ؛ وَأَخُوهُ يَزِيدُ ؛ وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو ؛ وَالْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ وَغَيْرُهُمْ مِنْ مُسْلِمَةِ الْفَتْحِ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوَةَ حنين ؛ وَدَخَلُوا فِي قَوْله تَعَالَى { ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ } وَكَانُوا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِمْ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَغَزْوَةَ الطَّائِفِ لَمَّا حَاصَرُوا الطَّائِفَ وَرَمَاهَا بِالْمَنْجَنِيقِ وَشَهِدُوا النَّصَارَى بِالشَّامِ وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهَا سُورَةَ بَرَاءَةٍ ؛ وَهِيَ غَزْوَةُ الْعُسْرَةِ الَّتِي جَهَّزَ فِيهَا عُثْمَانُ بْنُ عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَيْشَ الْعُسْرَةِ بِأَلْفِ بَعِيرٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى فَأَعْوَزَتْ وَكَمَّلَهَا بِخَمْسِينَ بَعِيرًا فَقَالَ النَّبِيُّ : " { مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا فَعَلَ بَعْدَ الْيَوْمِ } " وَهَذَا آخِرُ مَغَازِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا قِتَالٌ .

[ثم استطرد مثرثراً كالعادة في السيرة فقال]

وَقَدْ غَزَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ غَزَاةٍ بِنَفْسِهِ وَلَمْ يَكُنْ الْقِتَالُ إلَّا فِي تِسْعِ غَزَوَاتٍ : بَدْرٍ وَأُحُدٍ وَبَنِيَّ الْمُصْطَلِقِ وَالْخَنْدَقِ وَذِي قَرَدٍ وَغَزْوَةِ الطَّائِفِ وَأَعْظَمُ جَيْشٍ جَمَعَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ بحنين وَالطَّائِفِ وَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا . وَأَعْظَمُ جَيْشٍ غَزَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَيْشُ تَبُوكَ فَإِنَّهُ كَانَ كَثِيرًا لَا يُحْصَى غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِيهِ قِتَالٌ . وَهَؤُلَاءِ الْمَذْكُورُونَ دَخَلُوا فِي قَوْله تَعَالَى { لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى } فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الطُّلَقَاءَ مُسْلِمَةُ الْفَتْحِ : هُمْ مِمَّنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ وَقَدْ وَعَدَهُمْ اللَّهُ الْحُسْنَى فَإِنَّهُمْ أَنْفَقُوا بحنين وَالطَّائِفِ وَقَاتَلُوا فِيهِمَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ . وَهُمْ أَيْضًا دَاخِلُونَ فِيمَنْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى : { وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ } فَإِنَّ السَّابِقِينَ هُمْ الَّذِينَ أَسْلَمُوا قَبْلَ الْحُدَيْبِيَةِ كَالَّذِينَ بَايَعُوهُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ : { لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ } كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَكُلُّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : " { لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ } "

[ثم استطرد في قصة حاطب والاعتذارات عن الصحابة الذين ليس منهم معاوية فقال]

وَكَانَ فِيهِمْ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بلتعة وَكَانَتْ لَهُ سَيِّئَاتٌ مَعْرُوفَةٌ مِثْلُ مُكَاتَبَتِهِ لِلْمُشْرِكِينَ بِأَخْبَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِسَاءَتِهِ إلَى مَمَالِيكِهِ وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ { أَنَّ مَمْلُوكَهُ جَاءَ إلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : وَاَللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا بُدَّ أَنْ يَدْخُلَ حَاطِبٌ النَّارَ . فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَذَبْت . إنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا والحديبية } " . وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ { لَمَّا كَتَبَ إلَى الْمُشْرِكِينَ يُخْبِرُهُمْ

بِمَسِيرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَيْهِمْ أَرْسَلَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَالزُّبَيْرَ إلَى الْمَرْأَةِ الَّتِي كَانَ مَعَهَا الْكِتَابُ فَأَتَيَا بِهَا فَقَالَ : مَا هَذَا يَا حَاطِبُ فَقَالَ : وَاَللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا فَعَلْت ذَلِكَ ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي وَلَا رَضِيت بِالْكُفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ وَلَكِنْ كُنْت امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ لَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَكَانَ مَنْ مَعَك مِنْ أَصْحَابِك لَهُمْ بِمَكَّةَ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ بِهَا أَهَالِيَهُمْ فَأَحْبَبْت إذْ فَاتَنِي ذَلِكَ أَنْ أَتَّخِذَ فِيهِمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا يُدْرِيك أَنَّ اللَّهَ قَالَ : اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ قَدْ غَفَرْت لَكُمْ } . وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ بَيَانُ أَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لِهَؤُلَاءِ السَّابِقِينَ - كَأَهْلِ بَدْرٍ وَالْحُدَيْبِيَةِ - مِنْ الذُّنُوبِ الْعَظِيمَةِ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ وَجِهَادِهِمْ ؛ مَا لَا يَجُوزُ لِأَحَدِ أَنْ يُعَاقِبَهُمْ بِهَا كَمَا لَمْ تَجِبْ مُعَاقَبَةُ حَاطِبٍ مِمَّا كَانَ مِنْهُ . وَهَذَا مِمَّا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى أَنَّ مَا جَرَى بَيْنَ عَلِيٍّ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَنَحْوِهِمْ :

[ثم استطرد مثرثراً كعادته في الاجتهاد والإعذار من عدمه فقال]

فَإِنَّهُ إمَّا أَنْ يَكُونَ اجْتِهَادًا لَا ذَنْبَ فِيهِ فَلَا كَلَامَ . فَقَدْ ثَبَتَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : " { إذَا اجْتَهَدَ الْحَاكِمُ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ } " . وَإِنْ كَانَ هُنَاكَ ذَنْبٌ فَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ هَؤُلَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَغَفَرَ لَهُمْ مَا فَعَلُوهُ ؛ فَلَا يَضُرُّهُمْ مَا وَقَعَ مِنْهُمْ مَنْ الذُّنُوبِ إنْ كَانَ قَدْ وَقَعَ ذَنْبٌ ؛ بَلْ إنْ وَقَعَ مِنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ كَانَ اللَّهُ مَحَاهُ بِسَبَبِ قَدْ وَقَعَ مِنْ الْأَسْبَابِ الَّتِي يُمَحِّصُ اللَّهُ بِهَا الذُّنُوبَ ، مِثْلُ أَنْ يَكُونَ قَدْ تَابَ فَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَوْ كَانَ لَهُ حَسَنَاتٌ تَمْحُو السَّيِّئَاتِ أَوْ يَكُونَ قَدْ كَفَّرَ عَنْهُ بِبَلَاءِ ابْتَلَاهُ بِهِ فَإِنَّهُ قَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : " { مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا غَمٍّ وَلَا حَزَنٍ وَلَا أَذًى إلَّا كَفَّرَ اللَّهُ مِنْ خَطَايَاهُ } " . وَأَمَّا مَنْ بَعْدُ هَؤُلَاءِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ وَهُمْ الَّذِينَ أَسْلَمُوا بَعْدَ الْحُدَيْبِيَةِ فَهَؤُلَاءِ دَخَلُوا فِي قَوْله تَعَالَى { وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى } وَفِي قَوْله تَعَالَى { وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ } وَقَدْ أَسْلَمَ قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَعَمْرُو بْنُ العاص وَعُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ الحجبي وَغَيْرُهُمْ . وَأَسْلَمَ بَعْدَ الطُّلَقَاءِ أَهْلُ الطَّائِفِ وَكَانُوا آخِرَ النَّاسِ إسْلَامًا وَكَانَ مِنْهُمْ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي العاص الثَّقَفِيُّ الَّذِي أَمَّرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَهْلِ الطَّائِفِ وَكَانَ مِنْ خِيَارِ الصَّحَابَةِ ؛ مَعَ تَأَخُّرِ إسْلَامِهِ.

[ثم استطرد مثرثراً كعادته في تفضيل بعض اللاحقين على السابقين]

فَقَدْ يَتَأَخَّرُ إسْلَامُ الرَّجُلِ وَيَكُونُ أَفْضَلَ مِنْ بَعْضِ مَنْ تَقَدَّمَهُ بِالْإِسْلَامِ كَمَا تَأَخَّرَ إسْلَامُ عُمَرَ فَإِنَّهُ يُقَالُ : إنَّهُ أَسْلَمَ تَمَامَ الْأَرْبَعِينَ وَكَانَ مِمَّنْ فَضَّلَهُ اللَّهُ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ أَسْلَمَ قَبْلَهُ وَكَانَ عُثْمَانُ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَسَعْدٌ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ أَسْلَمُوا قَبْلَ عُمَرَ عَلَى يَدِ أَبِي بَكْرٍ وَتَقَدَّمَهُمْ عُمَرُ . وَأَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ الرِّجَالِ الْأَحْرَارِ الْبَالِغِينَ أَبُو بَكْرٍ وَمِنْ الْأَحْرَارِ الصِّبْيَانِ عَلِيٌّ وَمِنْ الْمَوَالِي زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ وَمِنْ النِّسَاءِ خَدِيجَةُ أَمُّ الْمُؤْمِنِينَ وَهَذَا بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْعِلْمِ .

[ثم استطرد بثرثرة عن فضائل الصحابة السابقين والآيات في ذلك]

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : { إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ } إلَى قَوْله تَعَالَى { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ } { وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ } . فَهَذِهِ عَامَّةٌ . وَقَالَ تَعَالَى : { لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ

الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ } { وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } { وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ } . فَهَذِهِ الْآيَةُ وَالَّتِي قَبْلَهَا : تَتَنَاوَلُ مَنْ دَخَلَ فِيهَا بَعْدَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؛ فَكَيْفَ لَا يَدْخُلُ فِيهَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَجَاهَدُوا مَعَهُ ؟ . وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ : " { الْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ } " فَمَنْ كَانَ قَدْ أَسْلَمَ مِنْ الطُّلَقَاءِ وَهَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ كَانَ لَهُ مَعْنَى هَذِهِ الْهِجْرَةِ فَدَخَلَ فِي قَوْله تَعَالَى { وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ } كَمَا دَخَلَ فِي قَوْله تَعَالَى { وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى } . وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا } فَهَذَا يَتَنَاوَلُ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَ الرَّسُولِ مُطْلَقًا . وَقَدْ اسْتَفَاضَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصِّحَاحِ وَغَيْرِهَا مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ أَنَّهُ قَالَ : " { خَيْرُ الْقُرُونِ الْقَرْنُ الَّذِي بُعِثْت فِيهِمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ } " . وَثَبَتَ عَنْهُ فِي الصَّحِيحِ { أَنَّهُ كَانَ بَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَبَيْنَ خَالِدٍ كَلَامٌ فَقَالَ : يَا خَالِدُ لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي . فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ } " قَالَ ذَلِكَ لِخَالِدِ وَنَحْوِهِ مِمَّنْ أَسْلَمَ بَعْدَ الْحُدَيْبِيَةِ بِالنِّسْبَةِ إلَى السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ . يَقُولُ : إذَا أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نِصْفَ مُدِّهِ . وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا بَعْدَ الْحُدَيْبِيَةِ دَخَلُوا فِي قَوْله تَعَالَى { لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى } بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ . وَكَيْفَ يَكُونُ بَعْدَ أَصْحَابِهِ ؟

[ثم استطرد بثرثرته في تعريف الصحبة وتوسيعها ومخالفتها!]

وَالصُّحْبَةُ اسْمُ جِنْسٍ تَقَعُ عَلَى مَنْ صَحِبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا لَكِنْ كُلٌّ مِنْهُمْ لَهُ مِنْ الصُّحْبَةِ بِقَدْرِ ذَلِكَ فَمَنْ صَحِبَهُ سَنَةً أَوْ شَهْرًا أَوْ يَوْمًا أَوْ سَاعَةً أَوْ رَآهُ مُؤْمِنًا فَلَهُ مِنْ الصُّحْبَةِ بِقَدْرِ ذَلِكَ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : " { يَغْزُوا فِئَامٌ مِنْ النَّاسِ فَيَقُولُونَ : هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَحِبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَفِي لَفْظٍ : هَلْ فِيكُمْ مَنْ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ ؛ فَيُفْتَحُ لَهُمْ ؛ ثُمَّ يَغْزُوا فِئَامٌ مِنْ النَّاسِ فَيَقُولُونَ : هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَحِبَ مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ - وَفِي لَفْظٍ - هَلْ فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ فَيُفْتَحُ لَهُمْ ثُمَّ يَغْزُوا فِئَامٌ مِنْ النَّاسِ فَيَقُولُونَ : هَلْ فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ رَأَى مَنْ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ - وَفِي لَفْظٍ - مَنْ صَحِبَ مَنْ صَحِبَ مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ ؛ فَيُفْتَحُ لَهُمْ } " وَفِي بَعْضِ الطُّرُقِ فَيُذْكَرُ فِي الطَّبَقَةِ الرَّابِعَةِ كَذَلِكَ . فَقَدْ عَلَّقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحُكْمَ بِصُحْبَتِهِ وَعَلَّقَ بِرُؤْيَتِهِ

وَجَعَلَ فَتْحَ اللَّهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِسَبَبِ مَنْ رَآهُ مُؤْمِنًا بِهِ . وَهَذِهِ الْخَاصِّيَّةُ لَا تَثْبُتُ لِأَحَدٍ غَيْرِ الصَّحَابَةِ ؛ وَلَوْ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ أَكْثَرَ مِنْ أَعْمَالِ الْوَاحِدِ مِنْ أَصْحَابِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

[ثم استطرد في الطرق التي يعرف بها الإيمان! وأن الطلقاء مؤمنون!]

فَصْلٌ :

إذَا تَبَيَّنَ هَذَا ؛ فَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ الطَّرِيقَ الَّتِي بِهَا يُعْلَمُ إيمَانُ الْوَاحِدِ مِنْ الصَّحَابَةِ هِيَ الطَّرِيقُ الَّتِي بِهَا يُعْلَمُ إيمَانُ نُظَرَائِهِ وَالطَّرِيقُ الَّتِي تُعْلَمُ بِهَا صُحْبَتُهُ هِيَ الطَّرِيقُ الَّتِي يُعْلَمُ بِهَا صُحْبَةُ أَمْثَالِهِ . فَالطُّلَقَاءُ الَّذِينَ أَسْلَمُوا عَامَ الْفَتْحِ مِثْلُ : مُعَاوِيَةَ وَأَخِيهِ يَزِيدَ وَعِكْرِمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ ؛ وَصَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ وَالْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ ؛ وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو . وَقَدْ ثَبَتَ بِالتَّوَاتُرِ عِنْدَ الْخَاصَّةِ إسْلَامُهُمْ وَبَقَاؤُهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ إلَى حِينِ الْمَوْتِ .

[ثم عاد لمعاوية وتثبيت إيمانه وأنه أحسن إيماناً من غيره لأنه كان أميراً!]

وَمُعَاوِيَةُ أَظْهَرُ إسْلَامًا مِنْ غَيْرِهِ فَإِنَّهُ تَوَلَّى أَرْبَعِينَ سَنَةً ؛ عِشْرِينَ سَنَةً نَائِبًا لِعُمَرَ وَعُثْمَانَ مَعَ مَا كَانَ فِي خِلَافَةِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعِشْرِينَ سَنَةً مُسْتَوْلِيًا ؛ وَأَنَّهُ تَوَلَّى سَنَةَ سِتِّينَ بَعْدَ مَوْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَمْسِينَ سَنَةً . وَسَلَّمَ إلَيْهِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الْأَمْرَ عَامَ أَرْبَعِينَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ عَامُ الْجَمَاعَةِ ؛ لِاجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ وَزَوَالِ الْفِتْنَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ .

[ثم استطرد في الإمام ذم علي لصالح معاوية وضرب علي بالحسن!]

وَهَذَا الَّذِي فَعَلَهُ الْحَسَنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِمَّا أَثْنَى عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " { إنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَسَيُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ } " فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا أَثْنَى بِهِ عَلَى ابْنِهِ الْحَسَنِ وَمَدَحَهُ عَلَى أَنْ أَصْلَحَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ وَذَلِكَ حِينَ سَلَّمَ الْأَمْرَ إلَى مُعَاوِيَةَ وَكَانَ قَدْ سَارَ كُلٌّ مِنْهُمَا إلَى الْآخَرِ بِعَسَاكِرَ عَظِيمَةٍ . فَلَمَّا أَثْنَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْحَسَنِ بِالْإِصْلَاحِ وَتَرْكِ الْقِتَالِ دَلَّ عَلَى أَنَّ الْإِصْلَاحَ بَيْنَ تِلْكَ الطَّائِفَتَيْنِ كَانَ أَحَبَّ إلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ فِعْلِهِ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الِاقْتِتَالَ لَمْ يَكُنْ مَأْمُورًا بِهِ وَلَوْ كَانَ مُعَاوِيَةُ كَافِرًا لَمْ تَكُنْ تَوْلِيَةُ كَافِرٍ وَتَسْلِيمُ الْأَمْرِ إلَيْهِ مِمَّا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ؛ بَلْ دَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّ مُعَاوِيَةَ وَأَصْحَابَهُ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ؛ كَمَا كَانَ الْحَسَنُ وَأَصْحَابُهُ مُؤْمِنِينَ ؛ وَأَنَّ الَّذِي فَعَلَهُ الْحَسَنُ كَانَ مَحْمُودًا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مَحْبُوبًا مُرْضِيًا لَهُ وَلِرَسُولِهِ . وَهَذَا كَمَا ثَبَتَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الخدري أَنَّهُ قَالَ : " { تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنْ النَّاسِ فَتَقْتُلُهُمْ أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ وَفِي لَفْظٍ فَتَقْتُلُهُمْ أَدْنَاهُمْ إلَى الْحَقِّ } " فَهَذَا الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ كِلْتَا الطَّائِفَتَيْنِ الْمُقْتَتِلَتَيْنِ - عَلِيٌّ وَأَصْحَابُهُ وَمُعَاوِيَةُ وَأَصْحَابُهُ - عَلَى حَقٍّ وَأَنَّ عَلِيًّا وَأَصْحَابَهُ كَانُوا أَقْرَبَ إلَى الْحَقِّ مِنْ مُعَاوِيَةَ وَأَصْحَابِهِ .

[ثم استطرد في ذم الخوارج لصالح معاوية!]

فَإِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ هُوَ الَّذِي قَاتَلَ الْمَارِقِينَ وَهُمْ " الْخَوَارِجُ الحرورية " الَّذِينَ كَانُوا مِنْ شِيعَةِ عَلِيٍّ ثُمَّ خَرَجُوا عَلَيْهِ وَكَفَّرُوهُ وَكَفَّرُوا مَنْ وَالَاهُ وَنَصَبُوا لَهُ الْعَدَاوَةَ وَقَاتَلُوهُ وَمَنْ مَعَهُ . وَهُمْ الَّذِينَ أَخْبَرَ عَنْهُمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الْمُسْتَفِيضَةِ ؛ بَلْ الْمُتَوَاتِرَةِ حَيْثُ قَالَ

فِيهِمْ : " { يُحَقِّرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ وَقِرَاءَتَهُ مَعَ قِرَاءَتِهِمْ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنْ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ أَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ آيَتُهُمْ أَنَّ فِيهِمْ رَجُلًا مُخْدَجَ الْيَدَيْنِ لَهُ عَضَلٌ عَلَيْهَا شَعَرَاتٌ تَدَرْدُرُ } " . وَهَؤُلَاءِ هُمْ الَّذِينَ نَصَبُوا الْعَدَاوَةَ لِعَلِيِّ وَمَنْ وَالَاهُ وَهُمْ الَّذِينَ اسْتَحَلُّوا قَتْلَهُ وَجَعَلُوهُ كَافِرًا وَقَتَلَهُ أَحَدُ رُءُوسِهِمْ " عَبْدُ الرَّحْمَن بْنُ مُلْجِمٍ الْمُرَادِيِّ " فَهَؤُلَاءِ النَّوَاصِبُ الْخَوَارِجُ الْمَارِقُونَ إذْ قَالُوا : إنَّ عُثْمَانَ وَعَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَمَنْ مَعَهُمَا كَانُوا كُفَّارًا مُرْتَدِّينَ فَإِنَّ مِنْ حُجَّةِ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ مَا تَوَاتَرَ مِنْ إيمَانِ الصَّحَابَةِ وَمَا ثَبَتَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ مِنْ مَدْحِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ وَثَنَاءِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَرِضَاهُ عَنْهُمْ وَإِخْبَارِهِ بِأَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ النُّصُوصِ وَمَنْ لَمْ يَقْبَلْ هَذِهِ الْحُجَجَ لَمْ يُمْكِنْهُ أَنْ يُثْبِتَ إيمَانَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَمْثَالِهِ .

[ثم استطرد في ذم الإمام علي ونصرة النواصب وتبني أقوالهم فقال]

فَإِنَّهُ لَوْ قَالَ هَذَا النَّاصِبِيُّ للرافضي : إنَّ عَلِيًّا كَانَ كَافِرًا أَوْ فَاسِقًا ظَالِمًا وَأَنَّهُ قَاتَلَ عَلَى الْمُلْكِ : لِطَلَبِ الرِّيَاسَةِ ؛ لَا لِلدِّينِ وَأَنَّهُ قَتَلَ " مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجَمَلِ وصفين وَحَرُورَاءَ أُلُوفًا مُؤَلَّفَةً وَلَمْ يُقَاتِلْ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَافِرًا وَلَا فَتَحَ مَدِينَةً بَلْ قَاتَلَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ وَنَحْوَ هَذَا الْكَلَامِ - الَّذِي تَقَوَّلَهُ النَّوَاصِبُ الْمُبْغِضُونَ لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – لَمْ يُمْكِنْ أَنْ يُجِيبَ هَؤُلَاءِ النَّوَاصِبَ إلَّا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ؛ الَّذِينَ يُحِبُّونَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ كُلَّهُمْ وَيُوَالُونَهُمْ . فَيَقُولُونَ لَهُمْ : أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَنَحْوُهُمْ ثَبَتَ بِالتَّوَاتُرِ إيمَانُهُمْ وَهِجْرَتُهُمْ وَجِهَادُهُمْ . وَثَبَتَ فِي الْقُرْآنِ ثَنَاءُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَالرِّضَى عَنْهُمْ وَثَبَتَ بِالْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ ثَنَاءُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ خُصُوصًا وَعُمُومًا كَقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الْمُسْتَفِيضِ عَنْهُ : " { لَوْ كُنْت مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْت أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا } " وَقَوْلِهِ : " { إنَّهُ قَدْ كَانَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَعُمَرُ } " وَقَوْلِهِ عَنْ عُثْمَانَ : " { أَلَا أَسْتَحِي مِمَّنْ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ } " ؟ وَقَوْلُهُ لِعَلِيِّ : " { لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ } " وَقَوْلِهِ : " { لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيُّونَ وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ } " وَأَمْثَالُ ذَلِكَ . وَأَمَّا الرافضي فَلَا يُمْكِنُهُ إقَامَةُ الْحُجَّةِ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ عَلِيًّا مِنْ النَّوَاصِبِ كَمَا يُمْكِنُ ذَلِكَ أَهْلُ السُّنَّةِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ الْجَمِيعَ . فَإِنَّهُ إنْ قَالَ : إسْلَامُ عَلِيٍّ مَعْلُومٌ بِالتَّوَاتُرِ . قَالَ لَهُ : وَكَذَلِكَ إسْلَامُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَمُعَاوِيَةَ وَغَيْرِهِمْ وَأَنْتَ تَطْعَنُ فِي هَؤُلَاءِ إمَّا فِي إسْلَامِهِمْ ؛ وَإِمَّا فِي عَدَالَتِهِمْ . فَإِنْ قَالَ : إيمَانُ عَلِيٍّ ثَبَتَ بِثَنَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قُلْنَا لَهُ : هَذِهِ الْأَحَادِيثُ إنَّمَا نَقَلَهَا الصَّحَابَةُ الَّذِينَ تَطْعَنُ أَنْتَ فِيهِمْ وَرُوَاةُ فَضَائِلِهِمْ : سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ وَعَائِشَةُ وَسَهْلُ بْنُ سَعْدٍ الساعدي وَأَمْثَالُهُمْ وَالرَّافِضَةُ تَقْدَحُ فِي هَؤُلَاءِ . فَإِنْ كَانَتْ رِوَايَةُ هَؤُلَاءِ وَأَمْثَالِهِمْ ضَعِيفَةً بَطَلَ كُلُّ فَضِيلَةٍ تُرْوَى لِعَلِيِّ وَلَمْ يَكُنْ لِلرَّافِضَةِ حُجَّةٌ وَإِنْ كَانَتْ رِوَايَتُهُمْ صَحِيحَةً ثَبَتَتْ فَضَائِلُ عَلِيٍّ وَغَيْرِهِ ؛ مِمَّنْ رَوَى هَؤُلَاءِ فَضَائِلَهُ : كَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَغَيْرِهِمْ . فَإِنْ قَالَ الرافضي : فَضَائِلُ عَلِيٍّ مُتَوَاتِرَةٌ عِنْدَ الشِّيعَةِ - كَمَا يَقُولُونَ : إنَّ النَّصَّ عَلَيْهِ بِالْإِمَامَةِ مُتَوَاتِرٌ - قِيلَ لَهُ أَمَّا " الشِّيعَةُ " الَّذِينَ لَيْسُوا مِنْ الصَّحَابَةِ : فَإِنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا سَمِعُوا كَلَامَهُ وَنَقْلُهُمْ نَقْلٌ مُرْسَلٌ مُنْقَطِعٌ إنْ لَمْ يُسْنِدْهُ إلَى الصَّحَابَةِ لَمْ يَكُنْ صَحِيحًا . وَالصَّحَابَةُ الَّذِينَ تُوَالِيهِمْ الرَّافِضَةُ نَفَرٌ قَلِيلٌ - بِضْعَةَ عَشَرَ وَإِمَّا نَحْوَ ذَلِكَ

- وَهَؤُلَاءِ لَا يَثْبُتُ التَّوَاتُرُ بِنَقْلِهِمْ لِجَوَازِ التَّوَاطُؤِ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْعَدَدِ الْقَلِيلِ ، وَالْجُمْهُورُ الْأَعْظَمُ مِنْ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ نَقَلُوا فَضَائِلَهُمْ تَقْدَحُ الرَّافِضَةُ فِيهِمْ ؛ ثُمَّ إذَا جَوَّزُوا عَلَى الْجُمْهُورِ الَّذِينَ أَثْنَى عَلَيْهِمْ الْقُرْآنُ الْكَذِبَ وَالْكِتْمَانَ فَتَجْوِيزُ ذَلِكَ عَلَى نَفَرٍ قَلِيلٍ أَوْلَى وأجوز . وَأَيْضًا فَإِذَا قَالَ الرافضي : إنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ كَانَ قَصْدُهُمْ الرِّيَاسَةَ وَالْمُلْكَ فَظَلَمُوا غَيْرَهُمْ بِالْوِلَايَةِ . قَالَ لَهُمْ : هَؤُلَاءِ لَمْ يُقَاتِلُوا مُسْلِمًا عَلَى الْوِلَايَةِ وَإِنَّمَا قَاتَلُوا الْمُرْتَدِّينَ وَالْكُفَّارَ وَهُمْ الَّذِينَ كَسَرُوا كِسْرَى وَقَيْصَرَ وَفَتَحُوا بِلَادَ فَارِس وَأَقَامُوا الْإِسْلَامَ وَأَعَزُّوا الْإِيمَانَ وَأَهْلَهُ وَأَذَلُّوا الْكُفْرَ وَأَهْلَهُ . وَعُثْمَانُ هُوَ دُونَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فِي الْمَنْزِلَةِ . وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ طَلَبُوا قَتْلَهُ وَهُوَ فِي وِلَايَتِهِ فَلَمْ يُقَاتِلْ الْمُسْلِمِينَ وَلَا قَتَلَ مُسْلِمًا عَلَى وِلَايَتِهِ ؛ فَإِنْ جَوَّزْت عَلَى هَؤُلَاءِ أَنَّهُمْ كَانُوا ظَالِمِينَ فِي وِلَايَتِهِمْ أَعْدَاءَ الرَّسُولِ : كَانَتْ حُجَّةُ الناصبي عَلَيْك أَظْهَرَ . وَإِذَا أَسَأْت الْقَوْلَ فِي هَؤُلَاءِ وَنَسَبْتهمْ إلَى الظُّلْمِ وَالْمُعَادَاةِ لِلرَّسُولِ وَطَائِفَتِهِ : كَانَ ذَلِكَ حُجَّةً لِلْخَوَارِجِ النَّوَاصِبِ الْمَارِقِينَ عَلَيْك . فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ : أَيُّمَا أَوْلَى أَنْ يُنْسَبَ إلَى طَلَبِ الرِّيَاسَةِ : مَنْ قَاتَلَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى وِلَايَتِهِ - وَلَمْ يُقَاتِلْ الْكُفَّارَ - وَابْتَدَأَهُمْ بِالْقِتَالِ لِيُطِيعُوهُ ؛ وَهُمْ لَا يُطِيعُونَهُ وَقَتَلَ مِنْ " أَهْلِ الْقِبْلَةِ " الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيَحُجُّونَ الْبَيْتَ الْعَتِيقَ ؛ وَيَصُومُونَ شَهْرَ رَمَضَانَ وَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ أُلُوفًا مُؤَلَّفَةً ؛ وَمَنْ لَمْ يُقَاتِلْ مُسْلِمًا ؛ بَلْ أَعَزُّوا أَهْلَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَنَصَرُوهُمْ وَآوَوْهُمْ أَوْ مَنْ قَتَلَ وَهُوَ فِي وِلَايَتِهِ لَمْ يُقَاتِلْ وَلَمْ يَدْفَعْ عَنْ نَفْسِهِ حَتَّى قُتِلَ فِي دَارِهِ وَبَيْنَ أَهْلِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؟ فَإِنْ جَوَّزْت عَلَى مِثْلِ هَذَا أَنْ يَكُونَ ظَالِمًا لِلْمُلْكِ ظَالِمًا لِلْمُسْلِمِينَ بِوِلَايَتِهِ فَتَجْوِيزُ هَذَا عَلَى مَنْ قَاتَلَ عَلَى الْوِلَايَةِ وَقَتْلِ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهَا أَوْلَى وَأَحْرَى . وَبِهَذَا وَأَمْثَالِهِ يَتَبَيَّنُ أَنَّ الرَّافِضَةَ أُمَّةٌ لَيْسَ لَهَا عَقْلٌ صَرِيحٌ ؛ وَلَا نَقْلٌ صَحِيحٌ وَلَا دِينٌ مَقْبُولٌ ؛ وَلَا دُنْيَا مَنْصُورَةٌ بَلْ هُمْ مِنْ أَعْظَمِ الطَّوَائِفِ كَذِبًا وَجَهْلًا وَدِينُهُمْ يُدْخِلُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ كُلَّ زِنْدِيقٍ وَمُرْتَدٍّ كَمَا دَخَلَ فِيهِمْ النُّصَيْرِيَّةُ ؛ وَالْإِسْمَاعِيلِيَّةُ وَغَيْرُهُمْ فَإِنَّهُمْ يَعْمِدُونَ إلَى خِيَارِ الْأُمَّةِ يُعَادُونَهُمْ وَإِلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ مِنْ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمُشْرِكِينَ يُوَالُونَهُمْ وَيَعْمِدُونَ إلَى الصِّدْقِ الظَّاهِرِ الْمُتَوَاتِرِ يَدْفَعُونَهُ وَإِلَى الْكَذِبِ الْمُخْتَلَقِ الَّذِي يُعْلَمُ فَسَادُهُ يُقِيمُونَهُ ؛ فَهُمْ كَمَا قَالَ فِيهِمْ الشَّعْبِيُّ - وَكَانَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِهِمْ - لَوْ كَانُوا مِنْ الْبَهَائِمِ لَكَانُوا حُمُرًا وَلَوْ كَانُوا مِنْ الطَّيْرِ لَكَانُوا رَخَمًا . وَلِهَذَا كَانُوا أَبْهَتَ النَّاسِ وَأَشَدَّهُمْ فِرْيَةً مِثْلَ مَا يَذْكُرُونَ عَنْ مُعَاوِيَةَ .

[ثم عاد لمدح معاوية بالموضوعات التي جعلها متواترة!]

فَإِنَّ مُعَاوِيَةَ ثَبَتَ بِالتَّوَاتُرِ أَنَّهُ أَمَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا أَمَرَ غَيْرَهُ وَجَاهَدَ مَعَهُ وَكَانَ أَمِينًا عِنْدَهُ يَكْتُبُ لَهُ الْوَحْيَ وَمَا اتَّهَمَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كِتَابَةِ الْوَحْيِ . وَوَلَّاهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ الَّذِي كَانَ مِنْ أَخْبَرِ النَّاسِ بِالرِّجَالِ وَقَدْ ضَرَبَ اللَّهُ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَلَمْ يَتَّهِمْهُ فِي وِلَايَتِهِ . وَقَدْ وَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَاهُ أَبَا سُفْيَانَ إلَى أَنْ مَاتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى وِلَايَتِهِ فَمُعَاوِيَةُ خَيْرٌ مِنْ أَبِيهِ وَأَحْسَنُ إسْلَامًا مِنْ أَبِيهِ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ وَإِذَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَّى أَبَاهُ فَلَأَنْ تَجُوزُ وِلَايَتُهُ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى وَالْأَحْرَى ؛ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الرِّدَّةِ قَطُّ وَلَا نَسَبَهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ إلَى الرِّدَّةِ فَالَّذِينَ يَنْسُبُونَ هَؤُلَاءِ إلَى الرِّدَّةِ هُمْ الَّذِينَ يَنْسُبُونَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَامَّةَ أَهْلِ بَدْرٍ وَأَهْلِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانِ إلَى مَا لَا يَلِيقُ بِهِمْ . وَالَّذِينَ نَسَبُوا هَؤُلَاءِ إلَى الرِّدَّةِ

يَقُولُ بَعْضُهُمْ : إنَّهُ مَاتَ وَوَجْهُهُ إلَى الشَّرْقِ وَالصَّلِيبُ عَلَى وَجْهِهِ وَهَذَا مِمَّا يَعْلَمُ كُلُّ عَاقِلٍ أَنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الْكَذِبِ وَالْفِرْيَةِ عَلَيْهِ . وَلَوْ قَالَ قَائِلٌ هَذَا فِيمَنْ هُوَ دُونَ مُعَاوِيَةَ مِنْ مُلُوكِ بَنِي أُمَيَّةَ وَبَنِي الْعَبَّاسِ كَعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَأَوْلَادِهِ وَأَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ وَوَلَدَيْهِ - الْمُلَقَّبَيْنِ بِالْمَهْدِيِّ وَالْهَادِي - وَالرَّشِيدِ وَأَمْثَالِهِمْ مِنْ الَّذِينَ تَوَلَّوْا الْخِلَافَةَ وَأَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَمَنْ نَسَبَ وَاحِدًا مِنْ هَؤُلَاءِ إلَى الرِّدَّةِ وَإِلَى أَنَّهُ مَاتَ عَلَى دِينِ النَّصَارَى لَعَلِمَ كُلُّ عَاقِلٍ أَنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ فِرْيَةً فَكَيْفَ يُقَالُ مِثْلُ هَذَا فِي مُعَاوِيَةَ وَأَمْثَالِهِ مِنْ الصَّحَابَةِ .

[ثم استطرد مثرثراً - كالعادة - في الدفاع عن يزيد]

بَلْ يَزِيدُ ابْنُهُ مَعَ مَا أَحْدَثَ مِنْ الْأَحْدَاثِ مَنْ قَالَ فِيهِ : إنَّهُ كَافِرٌ مُرْتَدٌّ فَقَدْ افْتَرَى عَلَيْهِ . بَلْ كَانَ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ الْمُسْلِمِينَ كَسَائِرِ مُلُوكِ الْمُسْلِمِينَ وَأَكْثَرُ الْمُلُوكِ لَهُمْ حَسَنَاتٌ وَلَهُمْ سَيِّئَاتٌ وَحَسَنَاتُهُمْ عَظِيمَةٌ وَسَيِّئَاتُهُمْ عَظِيمَةٌ فَالطَّاعِنُ فِي وَاحِدٍ مِنْهُمْ دُونَ نُظَرَائِهِ إمَّا جَاهِلٌ وَإِمَّا ظَالِمٌ . وَهَؤُلَاءِ لَهُمْ مَا لِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْهُمْ مَنْ تَكُونُ حَسَنَاتُهُ أَكْثَرَ مِنْ سَيِّئَاتِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ قَدْ تَابَ مِنْ سَيِّئَاتِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَّرَ اللَّهُ عَنْهُ وَمِنْهُمْ مَنْ قَدْ يُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ وَمِنْهُمْ مَنْ قَدْ يُعَاقِبُهُ لِسَيِّئَاتِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ قَدْ يَتَقَبَّلُ اللَّهُ فِيهِ شَفَاعَةَ نَبِيٍّ أَوْ غَيْرِهِ مِنْ الشُّفَعَاءِ فَالشَّهَادَةُ لِوَاحِدِ مِنْ هَؤُلَاءِ بِالنَّارِ هُوَ مِنْ أَقْوَالِ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالضَّلَالِ . وَكَذَلِكَ قَصْدُ لَعْنَةِ أَحَدٍ مِنْهُمْ بِعَيْنِهِ لَيْسَ هُوَ مِنْ أَعْمَالِ الصَّالِحِينَ وَالْأَبْرَارِ . وَقَدْ ثَبَتَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : " { لَعَنَ اللَّهُ الْخَمْرَةَ وَعَاصِرُهَا وَمُعْتَصِرُهَا وَحَامِلُهَا وَسَاقِيهَا وَشَارِبُهَا وَبَائِعُهَا وَمُشْتَرِيهَا وَآكِلُ ثَمَنِهَا } " . وَصَحَّ عَنْهُ : { أَنَّهُ كَانَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ يُكْثِرُ شُرْبَهَا يُدْعَى حِمَارًا وَكَانَ كُلَّمَا أُتِيَ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَلَدَهُ فَأُتِي بِهِ إلَيْهِ لِيَجْلِدَهُ فَقَالَ رَجُلٌ : لَعَنَهُ اللَّهُ مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَلْعَنْهُ فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ } " . وَقَدْ لَعَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَارِبَ الْخَمْرِ عُمُومًا وَنَهَى عَنْ لَعْنَةِ الْمُؤْمِنِ الْمُعَيَّنِ . كَمَا أَنَّا نَقُولُ مَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : { إنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا } فَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدِ أَنْ يَشْهَدَ لِوَاحِدِ بِعَيْنِهِ أَنَّهُ فِي النَّارِ لِإِمْكَانِ أَنْ يَتُوبَ أَوْ يَغْفِرَ لَهُ اللَّهُ بِحَسَنَاتِ مَاحِيَةٍ أَوْ مَصَائِبَ مُكَفِّرَةٍ أَوْ شَفَاعَةٍ مَقْبُولَةٍ أَوْ يَعْفُوَ اللَّهُ عَنْهُ أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ . فَهَكَذَا الْوَاحِدُ مِنْ الْمُلُوكِ أَوْ غَيْرِ الْمُلُوكِ وَإِنْ كَانَ صَدَرَ مِنْهُ مَا هُوَ ظُلْمٌ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يُوجِبُ أَنْ نَلْعَنَهُ وَنَشْهَدَ لَهُ بِالنَّارِ . وَمَنْ دَخَلَ فِي ذَلِكَ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالضَّلَالِ ؛ فَكَيْفَ إذَا كَانَ لِلرَّجُلِ حَسَنَاتٌ عَظِيمَةٌ يُرْجَى لَهُ بِهَا الْمَغْفِرَةُ مَعَ ظُلْمِهِ كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : " { أَوَّلُ جَيْشٍ يَغْزُو قُسْطَنْطِينِيَّةَ مَغْفُورٌ لَهُ } " وَأَوَّلُ جَيْشٍ غَزَاهَا كَانَ أَمِيرُهُمْ " يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ " وَكَانَ مَعَهُ فِي الْغُزَاةِ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ وَتُوُفِّيَ هُنَاكَ وَقَبْرُهُ هُنَاكَ إلَى الْآنِ . وَلِهَذَا كَانَ الْمُقْتَصِدُونَ مِنْ أَئِمَّةِ السَّلَفِ يَقُولُونَ فِي يَزِيدَ وَأَمْثَالِهِ : إنَّا لَا نَسُبُّهُمْ وَلَا نُحِبُّهُمْ أَيْ لَا نُحِبُّ مَا صَدَرَ مِنْهُمْ مِنْ ظُلْمٍ . وَالشَّخْصُ الْوَاحِدُ يَجْتَمِعُ فِيهِ حَسَنَاتٌ وَسَيِّئَاتٌ وَطَاعَاتٌ وَمَعَاصٍ وَبِرٌّ وَفُجُورٌ وَشَرٌّ فَيُثِيبُهُ اللَّهُ عَلَى حَسَنَاتِهِ وَيُعَاقِبُهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ إنْ شَاءَ أَوْ يَغْفِرُ لَهُ وَيُحِبُّ مَا فَعَلَهُ مِنْ الْخَيْرِ وَيُبْغِضُ مَا فَعَلَهُ مِنْ الشَّرِّ . فَأَمَّا مَنْ كَانَتْ سَيِّئَاتُهُ صَغَائِرَ فَقَدْ وَافَقَتْ الْمُعْتَزِلَةُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُهَا . وَأَمَّا صَاحِبُ الْكَبِيرَةِ فَسَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتُهَا وَسَائِرُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ لَا يَشْهَدُونَ لَهُ بِالنَّارِ بَلْ يُجَوِّزُونَ أَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى : { إنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ

يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } فَهَذِهِ فِي حَقِّ مَنْ لَمْ يُشْرِكْ فَإِنَّهُ قَيَّدَهَا بِالْمَشِيئَةِ وَأَمَّا قَوْلُه تَعَالَى { قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا } فَهَذَا فِي حَقِّ مَنْ تَابَ وَلِذَلِكَ أَطْلَقَ وَعَمَّ .

[ثم استطرد مثرثراً في حكم صاحب الكبيرة عند الفرق والطوائف]

وَالْخَوَارِجُ وَالْمُعْتَزِلَةُ يَقُولُونَ : إنَّ صَاحِبَ الْكَبِيرَةِ يَخْلُدُ فِي النَّارِ ثُمَّ إنَّهُمْ قَدْ يَتَوَهَّمُونَ فِي بَعْضِ الْأَخْيَارِ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْكَبَائِرِ كَمَا تَتَوَهَّمُ الْخَوَارِجُ فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَأَتْبَاعِهِمَا أَنَّهُمْ مُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ كَمَا يَتَوَهَّمُ بَعْضُ ذَلِكَ فِي مِثْلِ مُعَاوِيَةَ وَعَمْرِو بْنِ العاص وَأَمْثَالِهِمَا وَيَبْنُونَ مَذَاهِبَهُمْ عَلَى مُقَدِّمَتَيْنِ بَاطِلَتَيْنِ :

إحْدَاهُمَا : أَنَّ فُلَانًا مِنْ أَهْلِ الْكَبَائِرِ .

وَالثَّانِيَةُ : أَنَّ كُلَّ صَاحِبِ كَبِيرَةٍ يَخْلُدُ فِي النَّارِ . وَكِلَا الْقَوْلَيْنِ بَاطِلٌ . وَأَمَّا الثَّانِي فَبَاطِلٌ عَلَى الْإِطْلَاقِ . وَأَمَّا الْأَوَّلُ فَقَدْ يُعْلَمُ بُطْلَانُهُ وَقَدْ يُتَوَقَّفُ فِيهِ . وَمَنْ قَالَ عَنْ مُعَاوِيَةَ وَأَمْثَالِهِ ؛ مِمَّنْ ظَهَرَ إسْلَامُهُ وَصَلَاتُهُ وَحَجُّهُ وَصِيَامُهُ أَنَّهُ لَمْ يُسْلِمْ وَأَنَّهُ كَانَ مُقِيمًا عَلَى الْكُفْرِ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ يَقُولُ ذَلِكَ فِي غَيْرِهِ كَمَا لَوْ ادَّعَى مُدَّعٍ ذَلِكَ فِي الْعَبَّاسِ وَجَعْفَرٍ وَعَقِيلٍ وَفِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ . وَكَمَا لَوْ ادَّعَى أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ لَيْسَا وَلَدَيْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إنَّمَا هُمَا أَوْلَادُ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ وَلَوْ ادَّعَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَتَزَوَّجْ ابْنَتَيْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَلَمْ يُزَوِّجْ بِنْتَيْهِ عُثْمَانَ ؛ بَلْ إنْكَارُ إسْلَامِ مُعَاوِيَةَ أَقْبَحُ مِنْ إنْكَارِ هَذِهِ الْأُمُورِ فَإِنَّ مِنْهَا مَا لَا يَعْرِفُهُ إلَّا الْعُلَمَاءُ .

[ثم واصل الثرثرة في معاوية]

وَأَمَّا إسْلَامُ مُعَاوِيَةَ وَوِلَايَتُهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَالْإِمَارَةِ وَالْخِلَافَةِ فَأَمْرٌ يَعْرِفُهُ جَمَاهِيرُ الْخَلْقِ وَلَوْ أَنْكَرَ مُنْكِرٌ إسْلَامَ عَلِيٍّ أَوْ ادَّعَى بَقَاءَهُ عَلَى الْكُفْرِ ؛ لَمْ يُحْتَجَّ عَلَيْهِ إلَّا بِمِثْلِ مَا يُحْتَجُّ بِهِ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ إسْلَامَ أَبِي بَكْرٍ ؛ وَعُمَرَ ؛ وَعُثْمَانَ وَمُعَاوِيَةَ وَغَيْرِهِمْ . وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ أَفْضَلَ مِنْ بَعْضٍ فَتَفَاضُلُهُمْ لَا يَمْنَعُ اشْتِرَاكَهُمْ فِي ظُهُورِ إسْلَامِهِمْ . وَأَمَّا قَوْلُ الْقَائِلِ : إيمَانُ مُعَاوِيَةَ كَانَ نِفَاقًا ؛ فَهُوَ أَيْضًا مِنْ الْكَذِبِ الْمُخْتَلَقِ . فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ مَنْ اتَّهَمَ مُعَاوِيَةَ بِالنِّفَاقِ ؛ بَلْ الْعُلَمَاءُ مُتَّفِقُونَ عَلَى حُسْنِ إسْلَامِهِ ؛ وَقَدْ تَوَقَّفَ بَعْضُهُمْ فِي حُسْنِ إسْلَامِ أَبِي سُفْيَانَ - أَبِيهِ - وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ ؛ وَأَخُوهُ يَزِيدُ فَلَمْ يَتَنَازَعُوا فِي حُسْنِ إسْلَامِهِمَا كَمَا لَمْ يَتَنَازَعُوا فِي حُسْنِ إسْلَامِ عِكْرِمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو وَصَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ وَأَمْثَالِهِمْ مِنْ مُسْلِمَةِ الْفَتْحِ وَكَيْفَ يَكُونُ رَجُلًا مُتَوَلِّيًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَرْبَعِينَ سَنَةً نَائِبًا وَمُسْتَقِلًّا يُصَلِّي بِهِمْ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ وَيَخْطُبُ وَيَعِظُهُمْ وَيَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُ فِيهِمْ الْحُدُودَ وَيُقَسِّمُ بَيْنَهُمْ فَيْأَهُمْ وَمَغَانِمَهُمْ وَصَدَقَاتِهِمْ وَيَحُجُّ بِهِمْ وَمَعَ هَذَا يُخْفِي نِفَاقَهُ عَلَيْهِمْ كُلِّهِمْ ؟ وَفِيهِمْ مِنْ أَعْيَانِ الصَّحَابَةِ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ . بَلْ أَبْلَغُ مِنْ هَذَا أَنَّهُ - وَلِلَّهِ الْحَمْدُ - لَمْ يَكُنْ مِنْ الْخُلَفَاءِ الَّذِينَ لَهُمْ وِلَايَةٌ عَامَّةٌ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ وَبَنِي الْعَبَّاسِ أَحَدٌ يُتَّهَمُ بِالزَّنْدَقَةِ وَالنِّفَاقِ وَبَنُو أُمَيَّةَ لَمْ يُنْسَبْ أَحَدٌ مِنْهُمْ إلَى الزَّنْدَقَةِ وَالنِّفَاقِ وَإِنْ كَانَ قَدْ يُنْسَبُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ إلَى نَوْعٍ مِنْ الْبِدْعَةِ أَوْ نَوْعٍ مِنْ الظُّلْمِ لَكِنْ لَمْ يُنْسَبْ أَحَدٌ مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ إلَى زَنْدَقَةٍ وَنِفَاقٍ .

[وواصل الثرثرة في ذم الفاطميين واتهامهم بالزندقة لصالح معاوية]

وَإِنَّمَا كَانَ الْمَعْرُوفُونَ بِالزَّنْدَقَةِ وَالنِّفَاقِ بَنِي عُبَيْدٍ الْقَدَّاحِ الَّذِينَ كَانُوا بِمِصْرِ وَالْمَغْرِبِ وَكَانُوا يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ عَلَوِيُّونَ وَإِنَّمَا كَانُوا مِنْ ذُرِّيَّةِ الْكُفَّارِ فَهَؤُلَاءِ قَدْ اتَّفَقَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى رَمْيِهِمْ بِالزَّنْدَقَةِ وَالنِّفَاقِ وَكَذَلِكَ رُمِيَ بِالزَّنْدَقَةِ وَالنِّفَاقِ قَوْمٌ مِنْ مُلُوكِ النَّوَاحِي الْخُلَفَاءُ مِنْ بَنِي بويه وَغَيْرِ بَنِي بويه ؛ فَأَمَّا خَلِيفَةٌ عَامُّ الْوِلَايَةِ فِي الْإِسْلَامِ فَقَدْ طَهَّرَ اللهُ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَكُونَ وَلِيُّ أَمْرِهِمْ زِنْدِيقًا مُنَافِقًا فَهَذَا مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ وَيُعْرَفَ فَإِنَّهُ نَافِعٌ فِي هَذَا الْبَابِ . وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ مُعَاوِيَةَ أَفْضَلُ مُلُوكِ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَإِنَّ الْأَرْبَعَةَ قَبْلَهُ كَانُوا خُلَفَاءَ نُبُوَّةٍ وَهُوَ أَوَّلُ الْمُلُوكِ ؛ كَانَ مُلْكُهُ مُلْكًا وَرَحْمَةً كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ : " { يَكُونُ الْمُلْكُ نُبُوَّةً وَرَحْمَةً ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ وَرَحْمَةٌ ثُمَّ يَكُونُ مُلْكٌ وَرَحْمَةٌ ثُمَّ مُلْكٌ وَجَبْرِيَّةٌ ثُمَّ مُلْكٌ عَضُوضٌ } " وَكَانَ فِي مُلْكِهِ مِنْ الرَّحْمَةِ وَالْحِلْمِ وَنَفْعِ الْمُسْلِمِينَ مَا يُعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ خَيْرًا مِنْ مُلْكِ غَيْرِهِ . وَأَمَّا مَنْ قَبْلَهُ فَكَانُوا خُلَفَاءَ نُبُوَّةٍ فَإِنَّهُ قَدْ ثَبَتَ عَنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : " { تَكُونُ خِلَافَةُ النُّبُوَّةِ ثَلَاثِينَ سَنَةً ثُمَّ تَصِيرُ مُلْكًا } " وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هُمْ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ وَالْأَئِمَّةُ الْمَهْدِيُّونَ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " { عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ } " .

[ثم استطرد في ذم خلي وخلافته والتشكيك في شرعيتها لصالح معاوية]

وَقَدْ تَنَازَعَ كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ فِي خِلَافَةِ عَلِيٍّ ؛ وَقَالُوا : زَمَانُهُ زَمَانُ فِتْنَةٍ لَمْ يَكُنْ فِي زَمَانِهِ جَمَاعَةٌ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ : يَصِحُّ أَنْ يُوَلَّى خَلِيفَتَانِ فَهُوَ خَلِيفَةٌ وَمُعَاوِيَةُ خَلِيفَةٌ ؛ لِأَنَّ الْأُمَّةَ لَمْ تَتَّفِقْ عَلَيْهِ وَلَمْ تَنْتَظِمْ فِي خِلَافَتِهِ . وَالصَّحِيحُ الَّذِي عَلَيْهِ الْأَئِمَّةُ : أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ بِهَذَا الْحَدِيثِ فَزَمَانُ عَلِيٍّ كَانَ يُسَمِّي نَفْسَهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَالصَّحَابَةُ تُسَمِّيهِ بِذَلِكَ . قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَد بْنُ حَنْبَلٍ : " مَنْ لَمْ يُرَبِّعْ بِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْخِلَافَةِ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ " وَمَعَ هَذَا فَلِكُلِّ خَلِيفَةٍ مَرْتَبَةٌ . فَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ لَا يُوَازِنُهُمَا أَحَدٌ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " { اقْتَدُوا بِاَللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي : أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ } " وَلَمْ يَكُنْ نِزَاعٌ بَيْنَ شِيعَةِ عَلِيٍّ الَّذِينَ صَحِبُوهُ فِي تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَثَبَتَ عَنْ عَلِيٍّ مِنْ وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ أَنَّهُ قَالَ : لَا أوتى بِرَجُلِ يُفَضِّلُنِي عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ إلَّا جَلَدْته حَدَّ الْمُفْتَرِي . وَإِنَّمَا كَانُوا يَتَنَازَعُونَ فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لَكِنْ ثَبَتَ تَقْدِيمُ عُثْمَانَ عَلَى عَلِيٍّ بِاتِّفَاقِ السَّابِقِينَ عَلَى مُبَايَعَةِ (عُثْمَانَ طَوْعًا بِلَا كُرْهٍ ؛ بَعْدَ أَنْ جَعَلَ عُمَرَ الشُّورَى فِي سِتَّةٍ : عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَسَعْدٍ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ . وَتَرَكَهَا " ثَلَاثَةٌ " وَهُمْ : طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَسَعْدٌ . فَبَقِيَتْ فِي " ثَلَاثَةٍ " عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ . فَوُلِّيَ أَحَدُهُمَا فَبَقِيَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يُشَاوِرُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُمْ لَمْ يَعْدِلُوا بِعُثْمَانَ . وَنَقْلَ وَفَاتَهُ وَوِلَايَتَهُ : حَدِيثٌ طَوِيلٌ فَمَنْ أَرَادَهُ فَعَلَيْهِ بِأَحَادِيثِ الثِّقَاتِ . وَاَللَّهُ أَعْلَمُ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَسَلَّمَ .

الجواب على ابن تيمية:

وأنتم ترون أن أبرز الملحوظات على ابن تيمية هو الثرثرة والحماس لمعاوية والخروج من الموضوع وتوسيعه وكأن الشك في إسلام معاوية مسألة من أهم أصول الدين الكبرى التي يتوقف عليها الدين من عدمه، وهذا التهويل والتطويل والاضطراب والبعد والقرب ينم عن حب شديد

وتعصب لطاغية كبير من طغاة الإسلام، بل هو مؤسس الفرعنة الإسلامية، ولكن لن نستعجل فتعالوا نأخذ أقواله بهدوء، ولا أنكر على من يرى إسلام معاوية ولا من يرى إيمانه – وإن كنت أخالفه- وإنما أنكر هذا النصب المتلبس بالسنة والذي يرمي عباد الله بكل سوء من أجل أن يبقى معاوية سليماً، حتى وصل ألأمر بابن تيمية كما سيأتي إلى الطعن في شرف الزهراء بطريقة خبيثة حتى يبقى معاوية مسلماً... وهذا الخبث في كلام ابن تيمية نفاق بلا شك.. لكن سأنسى كل هذا وأرجع لهدوئي وأناقش بعلمية وموضوعية بقدر طاقتي.

ومن أبرز هذه الملحوظات مايلي :

قوله في بداية الجواب :

(إيمان معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، ثابت بالنقل المتواتر ! وإجماع أهل العلم على ذلك! كإيمان من آمن أمثاله ممن آمن عام فتح مكة....) اهـ

الرد على ابن تيمية هنا:

أقول هذا الكلام عليه عدة ملحوظات عامة وخاصة :

الملحوظة الأولى –وهي من الجواب العام-:

ما نقله من إجماع أهل العلم على إيمان من أسلم عام فتح مكة (الطلقاء) نقل خاطيء تماماً، إن لم يكن كاذباً، فقد شكك في إسلام هؤلاء الطلقاء بعض العلماء، كالحاكم وابن عبد البر بل وابن تيمية نفسه! كما سيأتي، وشكك في إسلامهم بعض التابعين الصحابة كعمار بن ياسر وبعض التابعين الحنفية وسالم بن أبي الجعد وبعض أهل الحديث المتقدمين.

إذن فالعلماء الذين ذكر أنهم أجمعوا على (إيمان معاوية)! إن كان ابن تيمية يُدخل في هؤلاء العلماء المهاجرين والأنصار والتابعين فهذا غير صحيح فهؤلاء على ذمه – كما سيأتي-، وإن أراد إخراج هؤلاء من مصطلح (العلماء) فهذا تعدٍّ عليهم لأجل معاوية، بل إخراج المهاجرين والأنصار والتابعين من جملة العلماء هو المخالف للإجماع، ولكن إذا أخرجهم لا يمكن أن يكون كلامه صحيحاً أيضاً لوجود علماء بعد الصحابة والتابعين شككوا في إسلامهم، إلا قلة ممن ذكروا أنه حسن إسلامهم (راجع كتابي: مبحث إسلام معاوية) .

وإن أراد بالعلماء - كما يفعل أحياناً- علماء الحنابلة فقط، وكما يفعل النووي كثيراً في علماء الشافعية، فهذا صحيح، فمعظم الحنابلة متعصبون لبني أمية منحرفون عن أهل البيت، وهم المذهب الوحيد الذي كان فيه من صنف في فضائل معاوية ويزيد.. لكنهم قلة في وسط جمهور السنة، فلا يقتصر العلماء عند الإطلاق على الحنابلة، ثم هم عند التحقيق ليسوا علماء وإنما مقلدون (والمقلد لا يسمى فقيهاً ولا عالماً بالإجماع الذي ذكره ابن عبد البر ونقله ابن عثيمين في مقدمة الشرح الممتع)، فلا يجوز إدخال مثل البربهاري وعبد المغيث الحربي في العلماء وإخراج عمار بن ياسر وعبادة بن الصامت منهم، وهذا ما يفعله ابن تيمية بإهمال آراء الصحابة والتابعين، والاعتماد على من فيه تهمة، ثم تعميم هذا على كل العلماء وجعله إجماعاً ومن خالف الإجماع عنده فقد كفر! وهو من أجرأ الناس على مخالفة الإجماع إن حام حول معاوية أو يزيد بذم، أو حول علي والحسين بفضل.

ثم أين ما ذكره ابن تيمية من : الثابت بالنقل المتواتر في إسلام معاوية (الإسلام الحق وليس الظاهري) وقد جاء من النقولات الصحيحة ما يرد هذا الإسلام المدعى، فضلاً عن الإيمان؟!

ثانياً:

كان في مسلمة الفتح بل في أكثرهم من بقي في الباطن على الكفر، بل شهد بعضهم حنيناً على الكفر، فكيف نزعم أن إيمان هؤلاء ثبت بالنقل المتواتر، كيف وقد تمنى بعضهم هزيمة النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين، ومنهم أبو سفيان ومعاوية (كما قال الذهبي) حتى صرخ بعضهم (بطل السحر اليوم)؟! فأي إسلام هذا؟[3]..

[3] نحن هنا نتحاور مع ابن تيمية بمنهج الرواية التاريخية، وإلا ففي القرآن الكريم غنية عن هذا، والقرآن حجة بنفسه لا يحتاج إلى روايات سنية ولا شيعية ولا إجماع مدّعى ولا قياس فاسد،فالله قد أخبرنا - وهو العليم ببواطن الأمور ومآلاتها- بأن عتاولة الشرك بمكة أو أكثر قريش لن يؤمنوا، حتى ولو أسلموا ظاهراً، لأنهم في الأصل لم يكفروا عن جهل بالمعجزات حتى يؤمنوا بمعرفتها، وإنما كان كفرهم عصبية واستكباراً، ومن الأدلة على أن أكثرية كفار قريش لن يؤمنوا قوله تعالى في سورة يس، في آخر العهد المكي : (يس (1) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (2) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (3) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (4) تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (5) لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (6) لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (7) ... ثم قال (وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (10) الآيات، ، وهذه الآيات ونحوها كسورة الكافرون وبداية سورة البقرة ، وفي آخر سورة يوسف، وغيرها كثير جداً.. تخبرنا بأنهم لن يؤمنوا، فهل يظن المتعصبون للطلقاء بأن الله يتوقع فقط! وأن التوقع قد يصدق وقد يكذب؟! نعوذ بالله من هذا الاعتقاد..وهذا لا يظنه سلفي على الإطلاق، لكنه الذهول العقدي فحسب، فالعقيدة كالسيل الجارف لا يرده شيء، نعم هؤلاء الطلقاء أسلموا ظاهراً، والقليل قد يكون صدق في الباطن، والله لم يقل عن الأكثرية أنهم (لن يسلموا) وإنما أخبر بأن أكثرهم (لن يؤمنوا)، سواء أأنذرهم الرسول (ص) أم لم ينذرهم.. ولا ريب أن أكثر قريش تظاهرت بالإسلام، وهنا فرق بين الأمرين، هذه حقيقة باطنة يخبرنا الله عنها، وهي معجزة من معجزات الإخبار بالغيب، ولا يناقضها تظاهرهم بالإسلام وعصمة دمائهم وأموالهم بذلك؛ وسبب هذا الذهول العقدي السلفي هو أن هؤلاء الأكثر وصل بعضهم إلى السلطة فأخبرونها أنهم آمنوا باطناً وظاهراً وأن الله قد رضي عنهم ووعدهم الحسنى! فحملوا الناس على هذا الاطمئنان حتى يتلعبوا بدين الله وعباده كما يشاؤون؟ فصدقناهم وهجرنا صريح القرآن، ثم إسلام من أسلم إذا كان لخشية مضرة أو لفوت مصلحة أيضاً ليس إسلاماً صحيحاً على الحقيقة بالإجماع وإنما إسلام قولي له حقوقه مادام ذلك المتعوذ بالإسلام غير مقدم على جناية، لكنه لا يباح لنا اتباع هؤلاء الطلقاء على تحريف دين الله أو جعل أعزة أهله أذلة، فسوء سيرتهم دليل على أنهم لم يؤمنوا إيماناً صادقاً..لأنه إسلام لدفع المضار الدنيوية، وجلب المصالح الدنيوية، وهذا ليس إسلاماً كما يقول تعالى في سورة غافر ((فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (84) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (85) ، فالله يقول لن ينفعهم مثل هذا

وعلى هذا يمكن أن يزعم زاعم إيمان عبدالله بن أبي بالنقل المتواتر! فقد شهد حنيناً بل شهد الحديبية وكان من أصحاب بيعة الرضوان، وكذا قد يزعم خارجي ثبوت إيمان ذي الخويصرة بالنقل المتواتر فقد أسلم قبل معاوية، وهو الذي اتهم النبي (ص) في عدله ؟! فهذا وابن أبي وابي

الإيمان، وأنتم تقولون نفعهم، والله يقول أن الأكثرية لم يؤمن ولن تؤمن، وأنتم تقولون آمنوا، فهل نصدق القرآن الكريم أم العقيدة الواسطية؟ ثم الله يخبرنا في الآية السابقة أن هذه سنة إلهية، أي أن إن مثل هذا الإيمان لن يقبل (وإن عصم الدم والمال) وأنتم مع ابن تيمية جعلتم هذا الإسلام الظاهري الكاذب أفضل من إسلام السابقين الصادق؟ (فقد كاد ابن تيمية أن يكفر من شكك في إسلام معاوية وهند، بينما هو يشكك في إسلام مثل علي وفاطمة؟!) ، ولم تنكروا عليه وإنما تواطأتم على القول بأنه لم يقل ولم يقصد وأن الناس يكذبون عليه.. الخ) ! مع أن الذكي لا يتعب في استنتاج مثل هذا من خلال قراءة ابن تيمية، ثم دعونا من الروايات كلها وانظروا الآيات السابقة وأشباهها، هل هي أقرب لإسلام الطلقاء أم إسلام السابقين الأولين؟ وإذا لم نستفد من القرآن الكريم في تفسير أحداث تاريخنا فلن نفهمه، وسنبقى خلف كل ظالم منافق محتال وسنبقى منحرفين عن مُثُل التأسي والقدوة (وهذه هي البداية الحقيقة للتفرق بين المسلمين من القرن الأول، أن بعض الناس أصبح لا يفرق بين علي ومعاوية فانطلت عليهم الحيلة وردوا النصوص وحاربوا الدعاة إلى الجنة وما يلزمها ودعوا إلى النار وما يقود إليها) وما زلنا اليوم في المربع الأول نفسه، ومن هجر القرآن الكريم ولم يعتمده فلا يظن أن الإعراض عن كتاب الله سيبقى بلا عقوبة إلهية ، وقد أخبرنا الله بعقوبة من أعرض عن كتابه وآياته، ألا وهو الحرمان من الهداية أبداً (<u>وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا</u> وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ <u>إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا</u> (57، من سورة الكهف) ولذلك لن يهتدي النواصب أبداً.. مادام أنهم يرون الآيات الكريمة في بقاء أكثر الطلقاء على الكفر ثم يصدفون عنها ويتأولونها، وأخبرنا الله أن مثل هذا الإعراض جريمة، وأن له عقوبته، وأي عقوبة أسوأ من الحرمان من الهداية؟ قال تعالى: (<u>وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ</u> (22) [السجدة/22]) وأخبرنا الله أن هذا الكتاب هو حجة علينا عند الاختلاف، وأن الذين يصدفون عن آياته سيصيبهم سوء العذاب، كما في قوله تعالى: (وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ <u>فَاتَّبِعُوهُ</u> وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (155) أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ (156) أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ <u>فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ</u> <u>فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ</u> ٱللَّهِ <u>وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ</u> (157) [الأنعام/155-157]) ، في آيات كثيرة كأنها نزلت في كل ذي هوى من المسلمين، وأنهم يعرضون عن بعض الآيات كما أعرض الكفار والمنافقون، فتكذيب الله في كفر الطلقاء وأشباههم كتكذيبه في إبطال ألوهية المسيح فما الفرق؟ الفرق أن فريقاً يقول عن نفسه أنه مؤمن مسلم، والآخر لا يقول.. أما النتيجة فواحدة..

سفيان ومعاوية وأمثالهم أقل من يقال عنهم أن إيمانهم ناقص أو أنهم مسلمون لا مؤمنون، ولا يحسن بنا أن نقول إن إيمانهم كان بالتواتر ؟! لأن هذا الكلام يوحي بحسن سيرة.
بل حتى لو افترضنا أننا أخرجنا معاوية من عموم الآيات التي أخبرت بأن أكثرية الكفار لن يؤمنوا واعتبرنا إيمانه صحيحاً فإنه يجب إعطاء مساحة لمن يخالف في هذا الرأي، بأنه ليس كمن يشكك في إسلام السابقين أو يكفرهم.. وهذا لا يتم إلا بالاعتراف أن (إسلام الطلقاء) كان محل خلاف، أو محل ريبة عند بعض المسلمين، وأن لهم اجتهادهم، خاصة وأن في هؤلاء صحابة وتابعون ومحدثون وفقهاء، فلا يجوز إظهارهم وكأنهم مخالفون للإجماع المتواتر!
فهذا الحماس الزائد من ابن تيمية لم نره عند كلامه على إسلام علي بن أبي طالب، بل رأينا تماهياً مع افتراءات النواصب، بل اخترع للنواصب حججاً لم يقولوا بها قط، وأظهرهم وكأنهم أهل اجتهاد وفقه وعلم وفضل ..الخ[4].

---

[4] مثل قوله في منهاج السنة النبوية - (ج 4 / ص 245) : (ثم يقال لهؤلاء الرافضة لو قالت لكم النواصب علي قد استحل دماء المسلمين وقاتلهم بغير أمر الله ورسوله على رياسته وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) وأيضا فيقولون! قتل النفوس فساد فمن قتل النفوس على طاعته كان مريدا للعلو في الأرض والفساد وهذا حال فرعون والله تعالى يقول (تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين) فمن أراد العلو في الأرض والفساد لم يكن من أهل السعادة في الاخرة) اهـ انظر كيف عرض أقوالاً زعمها للنواصب وهم لم يقولوها قط! وكأن النواصب حريصون على حقن الدماء! معتصمين بالقرآن والسنة! كارهون لسب المؤمنين وقتالهم! وكأنهم ليسوا قتلة عمار والحسين وأهل المدينة بالحرة وأهل مكة.. كأنهم ليسوا الفئة الباغية ولا الداعية إلى النار ولا أصحاب الملك العضوض، ولا الأغيلمة السفهاء الذين كان فساد الأمة على أيديهم، ولا أول من غيروا سنة النبي (ص) ولا ولا..الخ، كأنهم في صوامع الرهبان يستدلون بالكتاب والسنة على فسق علي بن أبي طالب وظلمه وكفره..!! وابن تيمية أول من يعلم أن هؤلاء ليسوا بأصحاب دين ولا قران ولا فقه ولا سنة، وإنما ملوك ظلمة فجرة لا يهمهم إلا الحكم والأثرة.. ولابن تيمية مواضع كثيرة يتماهى فيها مع النواصب ويمطط من حججهم ويزيد فيها ويحسنها ولا ينقلها من مصدر وإنما يفتريها لهم ويفرح بها ويرددها ويكررها حتى تستقر في قلب القاريءن ومنها قوله منهاج السنة - (ج 4 / ص 185) : (وذلك أن النواصب من الخوارج وغيرهم الذين يكفرون عليا أو يفسقونه أو يشكون في عدالته من المعتزلة والمروانية وغيرهم لو قالوا لكم ما الدليل على إيمان علي وإمامته وعدله لم يكن لكم حجة! فإنكم إن احتججتم بما تواتر من إسلامه وعبادته قالوا لكم وهذا متواتر عن الصحابة والتابعين والخلفاء الثلاثة وخلفاء بني أمية كمعاوية ويزيد وعبد الملك وغيرهم وأنتم تقدحون في إيمانهم فليس قدحنا في إيمان علي وغيره إلا وقد حكم في إيمان هؤلاء أعظم ..الخ) فانظر إلى إدخاله النواصب كفرقة من الفرق التي لها أدلة وحجج وبراهين! وإقراره لهم أن تواتر إسلام معاوية ويزيد وعبد الملك أعظم من تواتر إسلام علي! ثم انظر كيف جعل النواصب من المدافعين

قول ابن تيمية في تتمة الجواب:

(مثل أخيه يزيد ومثل ابن عمرو وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام أبي أسد !! ـ كذا ـ بن أبي العاص بن أمية وأمثال هؤلاء) !!

أقول :

بعض هؤلاء لم يسلم إلا بعد حنين كصفوان بن أمية وبعضهم أخطأ في اسمه وهذا سهل ، لكن إن قصد ابن تيمية أن معاوية ثبت إيمانه بالتواتر من فتح مكة كما ثبت إيمان صفوان بن أمية فهذا تناقض ! لأن صفوان لم يسلم إلا بعد غزوتي حنين والطائف، بعد حوالي شهرين من فتح مكة.

والبقية لم يسلموا من ريبة.. وشرح ذلك يطول..

ثم يقول ابن تيمية:

(فإن هؤلاء يسمون الطلقاء فإنهم آمنوا عام فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة قهراً وأطلقهم ومنَّ عليهم وأعطاهم وتألفهم) !!

الرد على ابن تيمية:

عن الثلاثة الخلفاء حتى يجمل حالهم عند أهل السنة ويرفع من منزلتهم بأنهم يدافعون عن أبي بكر وعمر وعثمان، إذن فلا بأس من التحالف معهم ضد الشيعة وترك بيان مظالم معاوية ويزيد وعبد الملك! ولنقتصر جميعاً على ذكر مظالم علي والتشكيك فيما يطرحه الشيعة من إيمانه حتى نحمي الصحابة والتابعين ومعاوية ويزيد وعبد الملك.. (هكذا !) فمجرد إدخال معاوية ويزيد مع أبي بكر وعمر نصب، فكيف إذا كان هذا في سياق تحسين عقائد النواصب وإقرارها أو إقرار الشكل العام لها! ثم إن كان تواتر إسلام أبي بكر وعمر كتواتر إسلام علي فهذا لا يعني المساواة في غير ذلك من الفضائل، فعلي يمتاز عنهما بطول الصحبة والقرب من النبي (ص) وهو شيء زائد على مجرد تواتر الإسلام منهم جميعاً.. فالخصائص والفضائل أوسع دائرة، وقد عاتب الله أبا بكر وعمر في سورة الحجرات عتاباً شديداً وهددهما بإحباط الأعمال (والقصة في صحيح البخاري)، وهو ما لم يحصل للإمام علي، فلو دخلنا في مقارنة شاملة لإسلام أبي بكر وعمر مع إسلام علي لظلمناهما بالمقارنة المنصفة، فكيف بمعاوية ويزيد وعبد الملك؟ وكيف يتجرأ على القول بأن إسلام الواحد من هؤلاء أعظم تواتراً من إسلام علي؟ فهذه مكابرة وجحد للضرورات، ومن خلال تتبعي لابن تيمية أراه منزعجاً من كون إسلام علي كان سابقاً على جميع المسلمين، فأراه يحاول من فرصة لأخرى للطعن في هذا الإسلام الذي ارتضاه رسول الله، فمرة يدعي أن إسلام علي صغيراً يخدش في كماله،ومرة يزعم أنه لا يصح إسلامه لأنه كان - حسب زعمه - صغيراً، ومرة يقول إن تواتر إسلام معاوية أعظم من تواتره... الخ فابن تيمية يشعر بعقدة نقص في هذه المسألة، ولا يريد أن يسلّم بهذه الحجة للشيعة، وكأنه يجب أن يرد كل ما يستدل به الشيعة على فضل علي بن أبي طالب، وأصحاب النقص هكذا .. لا يكتفون بترجيح الباطل حتى يطعنون في الضرورات، وابن تيمية من أجرأ الناس على الطعن في المتواتر وليس أدل على ذلك من هذه المواضع، فإنه يوصل رسالته وينتشر النصب ثم يأتي المنافحون ليقولوا لم تذكروا له أقوالاً أخرى، وهذا مثل من يأتي لرجل قد سب الله ورسوله فيعتذر عنه بأنه مدحهما في مكان آخر!

قوله (يُسَمَّون الطلقاء) كأن التسمية ليست شرعية مع ورودها في أحاديث صحيحة مها قوله (ص) (المهاجرين والأنصار بعضهم أولياء بعض إلى يوم القيامة وطلقاء قريش وعتقاء ثقيف بعضهم أولياء بعض إلى يوم القيامة)[5] ، والحديث المشهور (إذهبوا فأنتم الطلقاء)، وقول أم سلمة في صحيح مسلم (انهزم بك والطلقاء) ولن تقول هذا أم سلمة إلا عن أثر، فقوله (يسمون) فيه إهمال لكل هذه النصوص وهو يدعي التمسك بالنصوص وتقديمها على الآراء الذاتية.

ثم قوله (قهراً) هل يقصد أنهم أمنوا قهراً !! يعني أسلموا كرها ً أم يقصد أن النبي (ص) فتح مكة قهراً ، فإن كان الأول فهو يناقض إسلامهم طوعاً، ثم كيف يسلم ألفان في يوم واحد ؟! وكيف بقيت الحجج غير مفهومة وعبادة إله واحد غير معقولة حتى وصلت الخيل كداء والخندمة !!

سبحان الله سبعمائة من قريش آمنت على مدار إحدى وعشرين سنة ثم في يوم واحد يسلم ألفان من قريش ؟!.

والعجيب أنهم هم الصناديد الذين وقفوا في وجه تلك الدعوة كل تلك المدة وحاربوها في كل موطن ثم يسلمون في يوم؟! فكانوا في تلك المدة الطويلة (الإحدى وعشرين سنة) في أوائل المحاربين، وقد قتل من أقوامهم وقرابتهم الكثيرون وهذا يتطلب إيماناً قوياً لنسيانه .

فالتشكيك في صحة إسلام هذا الجمع الغفير في يوم واحد ليس محرماً نقلاً ولا مرفوض عقلاً[6] ، فضلاً عمن أساء السيرة منهم وظلم وعسف وأخذ بثارات جاهلية، كما فعل معاوية عندما أرسل بسراً (ابن أبي أرطأة العامري القرشي) يقاتل خزاعة أحلاف النبي صلى الله عليه وسلم ويقتل منهم بما قتلوا من بني بكر أحلاف قريش (عام الفتح)، ومنع الأنصار عطاءهم وأمر الأخطل بهجائهم وتخريبه قبر حمزة وأصحابه من شهداء أحد، ونحو ذلك من بقايا الجاهلية.

وقوله (وقد روي أن معاوية بن أبي سفيان أسلم قبل ذلك وهاجر كما أسلم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة الحجبي –قبل فتح مكة- وهاجروا إلى المدينة فإن كان هذا صحيحاً فهذا من المهاجرين)! اهـ

الرد على ابن تيمية في هذا:

أولاً : لا يصح أنه أسلم مع خالد ولا صح إسلامه يوم الحديبية ولا قبل فتح مكة:

-لأنه ثبت في الصحيح أنه تزوج إحدى زوجات عمر بن الخطاب اللاتي طلقهن بعد نزول الاية الكريمة (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) ولم تنزل إلا بعد الحديبية.

- **ولأنه بالإجماع أنه لم يسلم إلا عام الفتح أو بعد فتح مكة.**
- **ولأنه كان من الذين اعتزلوا يوم حنين ينظرون لمن تكون الدائرة!**

[5]) راجع النصين في (الصحبة والصحابة) .

[6]يعقل العاقل إسلام الآلاف إسلاماً صحيحاً إذا بلغتهم الدعوة ولم يكونوا يعرفوها من قبل، أما إذا حاربها آلاف عشرين سنة ثم أسلموا في يوم واحد فهذا غير معقول.

- ولأنه أساء السيرة يوم حنين وسرق جملاً هو وأبوه وأخوه عتبة في قصة حسنة الإسناد على أقل تقدير.
- ولأنه كان من المؤلفة قلوبهم، وكل المؤلفة قلوبهم من قريش لم يسلموا إلا عام الفتح.
- ولأنه قد روي بإسناد أقوى مما أورده ابن تيمية أن عمار بن ياسر كان يقول عن معاوية وغيره من الطلقاء (والله ما اسلم هؤلاء ولكن استسلموا جاءهم النبي بالكتائب من أعلى الوادي ومن أسفله فاستسلموا حتى وجدوا على الحق وأهله أعوانا)! وهذا تشكيك في صدق إسلامه حتى بعد فتح مكة ويرون أنه إنما أسلم تقية هو وأبو سفيان ؛بل يرون أنه بقي على ذلك.

وغير ذلك من الأدلة الكثيرة التي ستأتي مفصلة بالأسانيد القوية، وابن تيمية قد رواها بصيغة التمريض، ولم يرو بصيغة التمريض أنه هرب إلى الطائف وعير أباه أبا سفيان بتسرعه في الدخول في الإسلام!

4- ثم قول ابن تيمية:

(وأما اسلامه عام الفتح مع من ذكر فمتفق عليه بين العلماء سواء كان أسلم قبل ذلك أو لم يكن اسلامه إلا عام فتح مكة، ولكن بعض الكذابين زعم أنه عير أباه بإسلامه وهذا كذب بالاتفاق من أهل العلم بالحديث).

الرد على ابن تيمية:

أولاً: سبق أن ذكرنا الخلاف هل أسلم كارهاً أو صادقاً وأن الخلاف كان بين الصحابة أنفسهم فضلا عن غيرهم في مسألة إسلام هؤلاء أو استسلامهم، وكل إجماع بعد اختلاف الصحابة غير معتبر.

ثانياً: أما ما ذكره من أن بعض الكذابين زعم أن معاوية عير أباه بالاسلام فهذا الكذب أخف من الكذب الذي يزعم قائله بأن معاوية أسلم وهاجر قبل فتح مكة!!

فالخبر الأول على ضعفه أخف لأنه نقل، والذي نقل يبقى أصح مما لم ينقل أصلا.

5- ثم يقول ابن تيمية ص454 :

(وكان هؤلاء المذكوين -يقصد الطلقاء- من أحسن الناس إسلاماً وأحمدهم سيرة، ولم يتهموا بسوء ولم يتهمهم أحد من أهل العلم بنفاق كما اتهم غيرهم بل ظهر منهم من حسن الاسلام وطاعة الله ورسول و.....ما دل على حسن إيمانهم الباطن وحسن إسلامهم).

الرد على ابن تيمية في هذا:

أما كونهم من أحسن الناس اسلاما فهذا كذب، صحيح أن بعضهم حسن اسلامه ولكن بعضهم كمعاوية ووالده أبي سفيان اتهمهم بعض أهل العلم بأنهم لم يسلموا إلا كرها ولذلك كان الامام الحاكم يقول (والله أعلم بما أضمورا واعتقدوا) وقد سبق الكلام في هذه المسألة بتوسع في الكتاب الأصلي (عن معاوية).

أما قوله بأنهم لم يتهموا بسوء!! فالذين ذكرهم صحيح أنهم لم يتهموا اتهاماً مباشراً في الاسلام كيزيد بن أبي سفيان وعكرمة وصفوان وسهيل ولكن هذا لا يمنع من اتهامهم إذا تحقق باحث من سيرتهم لا سيما أن عموم الآيات يشملهم فهم زعماء، لكن أبا سفيان ومعاوية فوق شمول الآيات اتهمهم صحابة وتابعون وعلماء رغم ضغط السلطة والتاريخ.

أما قوله (بسوء) فهذه مبالغة، فقد ذم النبي (ص) معاوية بأكثر من سوء وذمه المهاجرون والانصار لسيئات كثيرة سبقت.

أما قوله لم يتهمهم أحد من أهل العلم بنفاق فغير صحيح لأن عمار بن ياسر عندنا من أهل العلم وكذا علي وأبو ذر وعبادة بن الصامت وأبو أيوب الأنصاري وشداد بن أوس وخزيمة بن ثابت وقيس بن سعد بن عبادة والحسن والحسين وابن الحنفية وسالم بن أبي الجعد وغيرهم كثير جداً من الصحابة والتابعين، بل لم يبرئه من الصحابة والتابعين إلا من هو على شاكلته في البغي والدعوة إلى النار،.... هؤلاء يعدون من أهل العلم وقد صدرت عنهم أقوال تشكك في إسلام معاوية وإذا لم يكن مسلما وأظهر الاسلام فقط فهذا هو عين النفاق ولكننا نبقي للظن مساحة.

6- <u>أما قوله ابن تيمية ص454 :</u>

<u>(ومنهم -أي الطلقاء- من أمره النبي (ص) واستعمله نائباً له كما استعمل عتاب بن أسيد أميرا على مكة نائباً عنه، وكان من خيار المسلمين، كان يقول يا أهل مكة والله لا يبلغني أن أحداً منكم قد تخلف عن الصلاة إلا ضربت عنقه)!</u>

<u>فالرد على ابن تيمية من وجوه:</u>

أولاً: هذا صحيح فقد أسلم عتاب عام فتح مكة ويظهر أنه ممن حسن اسلامه.

ثانياً: أما تهديده بقتل من تخلف عن صلاة الجماعة فهذا خطأ عظيم لأن صلاة الجماعة سنة عند أكثر العلماء وليست بواجب فكيف يقتل على سنة.

ثالثا: ثم لو كانت واجبة ولم يقتل فيها الرسول (ص) فكيف يجرؤ على اصدار حكم ليس في كتاب الله ولا سنة رسول الله (ص) فهذا -إن صح عنه- لا يدل على فضيلته وإنما تدل على غلوه ومخالفته للاحكام الشرعية.

رابعاً: الرواية التي ذكرها ابن تيمية لا تصح عن عتاب ففي اسنادها محمد بن اسحاق بن حذافة السهمي ضعيف في غير الموطأ على ما ذكره ابن حجر في الاصابة (ترجمة عتاب بن أسيد) فلو أورده ابن تيمية بصيغة التمريض لكان أفضل.

خامساً: كون عتاب من خيار المسلمين لا ينفع معاوية، فان ابن تيمية يورد فضائل توهمها لهؤلاء يستدل بها على فضل معاوية لأنه طليق مثلهم!!

سادسا: ثم إن الطلقاء ثلاثة أصناف في الفضل أضعف هؤلاء الطلقاء المؤلفى قلوبهم وقد كان معاوية منهم فكيف يخلط ابن تيمية كل الطلقاء وكأنهم في مرتبة واحدة في الفضل ويعد

معاوية في فضل عتاب بن أسيد وعكرمة بن أ]ي جهل وغيرهم ممن لم يشك بعكس معاوية في الحالتين فهو ليس مثل هؤلاء الطلقاء وإن كانوا من أقل المسلمين فضلا.
سابعاً: ابن تيمية حذف آخر القول المنسوب لعتاب بن أسيد وهو قوله (إلا ضربت عنقه فإنه لا يتخلف عنها إلا منافق).
وسبب حذف هذه الزيادة في ظني والله أعلم ان ابن تيمية كان قد كرر في أكثر من مناسبة أن مكة لم يكن فيها نفاق وإنما النفاق في المدينة وأن قريشا لم يكن فيها منافقون إنما المنافقون كانوا من الانصار بينما رواية عتاب بن أسيد تؤكد -رغم ضعفها- تعارض ما ذكره ابن تيمية فقد تحدث عن منافقين في مكة يتخلفون عن الصلاة معه في المسجد!!
وحجة ابن تيمية منقوضة بغير هذا لكن نحن قلنا لعل حذفه للزيادة ادراكا منه بأنا تخالف ما يذهب إليه من رأي شاذ لم يقل به أحد قبله أيضا والدلائل على خلافه.

7- أما قول ابن تيمية قوله ص454 أيضا :
(وقد استعمل النبى (ص* أبا سفيان بن حرب على نجران نائبا له وتوفى رسول الله (ص) وأبو سفيان عامله على نجران).
فالرد على ابن تيمية من وجوه:
أولاً: هذا غير صحيح، فلم يستعمل النبي (ص) أبا سيان على نجران وإنما استعمل عليها عمرو بن حزم ومات النبي (ص على نجران[7].
ثانياً: كان أبو سفيان يوم مات النبي (ص) في مكة وهم مع أهل مكة بالردة لولا أن سهيل بن عمرو ذكرهم وخطبهم فبقوا على الاسلام (راجع ترجمة سهيل بن عمرو في الاصابة)

8- وأما قول ابن تيمية :
ص 454 (وكان معاوية أحسن إسلاما من أبيه باتفاق أهل العلم)!!
الرد على ابن تيمية هنا أن نقول:
ما أكثر ما يدعي ابن تيمية الإجماعات فإذا أعجبه شيء قال: باتفاق أهل العلم أو بإجماع أهل العلم بالحديث وهكذا حتى أصبح مما يستنكره العلماء عليه التوسع في دعاوى الاجماع وهي من أكبر ما يكبل بها الآراء المخالفة.
لأنهم يستبعدون أن يخطئ في عوى الاجماع!! لكن لكل عالم هفوة، ولابن تيمية هفوات ومن أكبرها دعاوى الاجماع.
وقد سبق الكلام في إسلام معاوية كيف الاختلاف فيه..

[7] قال ابن حجر في ترجمة أبي سفيان في الاصابة (ويقال إن النبي (ص) استعمله على نجران ولا يثبت)!! أقول: لكن ابن تيمية يقبل ما لا يثبت إذا كان في فضل بني أمية.

9- قول ابن تيمية ص454 :

(كما أن أخاه يزيد بن أبي سفيان كان أفضل منه ومن أبيه ولهذا استعمله أبو بكر الصديق رضي الله عنه على قتال النصارى حين فتح الشام وكان هو أحد الأفراد الذين استعملهم أبو بكر الصديق).

والرد على ابن تيمية يقول:

أما كون يزيد بن أبي سفيان أفضل من أخيه معاوية فصحيح مع أنه أنكر عليه أبو ذر أشياء بالشام لكنه أخف الأخوين شراً.

لكن لم يستعمله أبو بكر لكونه خيرا من معاوية وإنما استعمله ليمتحنه كما صرح بذلك أبو بكر إن صحت الرواية وقد تقدمت في ترجمة -يزيد- وأوصاه أبو بكر ألا يولي قرابته!! وأنه يخشى من أن يولي معاوية لكن يزيد خالف وصية أبي بكر وولى معاوية مكانه فكان أول الشر في هذه الأمة من إيثار يزيد أخاه معاوية ثم أحسن عمر فيه الظن ثم ندم في آخر عمره على توليته كما سبق بيانه.

10-ثم ذكر ابن تيمية أن أبا بكر رضي الله عنه وصى يزيد بن أبي سفيان وصيته المعروفة.

والرد على ابن تيمية أن نقول:

فقول ابن تيمية (ولهذا) قبيح وإن لم يقصد الإساءة، لأن ظاهر الكلام أن يزيد استعمله أبو بكر لكونه خيرا من أبيه وأخيه!! بينما ذكر قبل قليل أن النبي (ص) استعمل أبا سفيان على نجران!!

فظاهر المقارنة يوحي بأن ابن تيمية يرى أن النبي (ص) لا يستعمل أهل الصلاح فيتدارك ذلك أبو بكر ويستعملهم!!

وهذا كما قلت لا يقصده ابن تيمية لكن التناقض والتعليل باللام في قوله (لهذا) يوحي بهذا.

11-ثم ذكر ابن تيمية أشياء حول تولية عمر لأبي عبيدة وتولية أبي بكر لخالد واختلافهما وخشي أن يوحي هذا بالتناقض وأن أحدهما أخطأ فأسرع بقوله (وكلاهما فعل ما هو أحب إلى الله تعالى في حقه)!!

ونقول في الرد عليه:

وهذا الجزم غريب!! فلماذا عندما عزل الإمام علي معاوية وكان عثمان قد جمع له الشام لماذا لم يقل هذا الكلام وإنما تعصب لمعاوية وزعم أنه لم يكن يستحق العزل!! لماذا لم يقل إن عثمان وعلياً (فعلا ماهو أحب إلى الله تعالى)!! لأنه لو قال بهذا لصوب عليا في عزل معاوية وهذا رغم أنه أمر سهل ميسور إلا أنه لا يفضل أن يخرج معاوية مخطئاً بسهولة ولا بد أن يشكك في حديث عمار وفي راشدية علي وفي مساحة كبيرة لأهل العدل ليلعب فيها النواصب.

12-وقول ابن تيمية ص455

(وقد ثبت في الصحيح أن النبي (ص) لما استشار أصحابه في أسارى بدر.... الحديث وذكر فيه زيادة (وأن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم الخليل إذا قال (فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم) ومثل عيسى بن مريم إذ قال (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) ومثلك ياعمرمثل نوح عليه السلام إذ قال (رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا) ومثل موسى ب عمران إذ قال (ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم)

الرد على ابن تيمية :

كل هذه الزيادة الطويلة غير صحيحة وضعيفة الاسناد حتى وإن نسبها ابن تيمية للصحيحين!! أو للصحيح!! والذي في الصحيح إنما هو استشارة النبي (ص) لهما في أسارى بدر أما الزيادة من تشبيه أبي بكر رضي الله عنه بنوح وعيسى عليهما السلام وتشبيه عمر رضي الله عنه بنوح وموسى فهي زيادة ضعيفة لا تصح.

13-ثم ذكر ابن تيمية ص456-457 ثرثرة زائدة في زيادة فضائل لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما والموضوع ليس موضوعهما وإنما الموضوع (سؤال في معاوية).

14-وثرثر ص457 (وكان يزيد بن أبي سفيان على الشام إلى أن ولى عمر فمات يزيد بن أبي سفيان فاستعمل عمر معاوية مكان أخيه يزيد).

وللرد على ابن تيمية نقول:

أولاً: ليس صحيحا من أن يزيد كان واليا على الشام في عهد أبي بكر فهذا من تضخيم ابن تيمية لدور بني أمية وإنما يزيد على فلسطين وأضاف له دمشق بعد موت معاذ بن جبل وكان قد استخلف يزيد على دمشق لكونه أقرب ولاة الشام إليه فأقره عمر ثم لما مات يزيد واستخلف أخاه معاوية على دمشق أقره عمر أيضاً، لكن لم يكن يزيد على الشام كلها كما يقول ابن تيمية!! فوهم ابن تيمية وهمين كبيرين كلاهما في صالح بني أمية!! زعمه أن يزيد كان على الشام كلها وزعمه أن عمر ولى معاوية ابتداءاً!!

15-قوله ص458 :

(وبقي معاوية على ولايته تمام خلافته -يعني خلافة عمر، وعمر ورعيته تشكره 0يقصد تشكر معاوية!!- وتشكر سيرته فيهم وتواليه وتحبه لما رأوا من حلمه وعدله!! حتى أنه لم يشكه منهم مشتك ولا تظلمه منهم متظلم)!

الرد على ابن تيمية من وجوه:

وقبل ذلك لا أدري هل ابن تيمية يجهل التاريخ أم أنه يتجاهل!! فالعبارة السابقة فيها عدة ملحوظات:

الأولى: أن معاوية لم يكن على كل الشام كما توحي عبارة ابن تيمية وإنما كان على دمشق وفلسطين.
الثاني: أن عمر لم يشكر معاوية ويحمد سيرته وإنما كان يذمه في آخر حياته ويتمنى أنه لم يوله وكان يأخذ عليه أنه يبيت على أطايب الطعام وذوي الحاجات ببابه فيصبح وقد ضربت الشمس ابطيه!! وكان معاوية يخادع عمر بأنه في بلاد العدو ولا بد أنه يرى منهم جواسيسه عزاً!! فالغاية عنده تبرر الوسيلة أو يبرر بها ظلمه.
أما زعمه أن رعية معاوية كانت تحبه ولم يشتك منهم أحد فهذا غير صحيح على الاطلاق فقد اشتكاه عبادة بن الصامت الصبي الكبير إلى عمر لما أنكر عليه عبادة التعامل بالربا فلم يستجب فأرسل عمر إلى معاوية أن لا إمرة له على عبادة.
صحيح أن الشكاوى من معاوية كانت قليلة أيام عمر لخوف معاوية من أن يعزله عمر رضي الله عنه لكنه بعد عمر طرد عبادة بن الصامت مرة أخرى وطرد أبا ذر وشدد على السابقين من الصابة وقرب النصارى كقبيلة كلب وقرب أجلاف العرب الذين كانوا من أشد الناس حربا لرسول الله (ص) كعمرو بن سفيان وأبي الأعور السلمي وغير هؤلاء من قبائل الشام.
أيضا قوله (لم يتظلم منه متظلم) باطل بقصة عبادة وغيره.

16-قول ابن تيمية ص458 :

(وقد شهد معاوية وأخوه يزيد وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام ويرهم من مسلمة الفتح مع النبي (ص) غزروة حنين ودخلوا في قوله تعالى (ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين....الآية) وكانوا من المؤمنين الذين أنزل الله سكينته عليهم مع النبي (ص))!

وللرد على ابن تيمية نقول:

ما ذكره غير صحيح لأمور منها:

1- أن الطلقاء كانوا من الفارين يوم حنين ولم يكونوا من الثابتين حتى تنزل عليهم السكينة.
2- شهد بعض مسلمة الفتح حنينا على الشك وهمَّ بعضهم باغتيال النبي (ص) يوم حنين فهل كان هذا من أثر السكينة التي ولت على هؤلاء؟! سبحان اله ما أقبح التعصب.
3- إن لفظ (المؤمنين) في القرآن الكريم له معنيان معنى عام يدخل فيه المنافقون والأعراب ونحوهم ومعنى خاص لا يدخل فيه إلا المؤمنون حقاً، فإن كان لفظ (المؤمنين) في الآية يعني المعنى العام فلا فضل فيه لمعاوية لدخول كل من تسمى في اسلام في هذا حتى لو كان منافقاً عدوا لله ورسوله.

وإن كان المعنى الخاص أن السكينة نزلت على المؤمنين حقاً فلم يكن منهم الطلقاء لأنهم هربوا وكانوا ضعيفي الايمان.
وقد شهد حنينا مع النبي (ص) على الكفر ثمانون من الطلقاء وأعراب أجلاف يتهمون النبي (ص) غي عدالته وبعض المنافقين فإذا كانت الآية تشمل معاوية فهي تشمل هؤلاء وإن خرج منها هؤلاء خرج منها معاوية لكونه هرب وسرق جملاً هو وأبوه وأبو سفيان!!

وسيأتي مزيد من الكلام حول تفسير هذه الآية عند مناقشتنا للدكتور خالد الغيث في رسالته عن معاوية.

لكن الصواب أن الآية المجملة لا تدل على فضل معاوية إلا إذا ثبت أنه كان من الثابتين مع النبي (ص) المخلصين الصادقين في الاسلام الباذلين لنفوسهم بين يدي رسول الله (ص) أما أن يكون من أول من هرب وأول من سرق ونزعم أن السكينة نزلت عليه فهذا نصب وخطل من القول.

17-قول ابن تيمية :

(وغزوة الطائف لما حاصروا الطائف ورماها بالمنجنيق!! وشهدوا النصارى بالشام بالشام وأنزل الله فيها سورة براءة وهي غزوة العسرة التي جهز فيها عثمان جيش العسرة....)

وللرد على ابن تيمية نقول:

يقصد ابن تيمية هنا أن معاوية شهد الطائف والطائف هي امتداد لغزوة حنين فإن مالك بن عوف وقبائل هوازن وثقيف وغيرها لما انهزموا بحنين بين مكة والطائف لحقهم المسلمون إلى الطائف وكان الطلقاء مسلمهم وكافرهم من اللاحقين حبا للغنيمة أو للفرجة وقد يكون فيهم المسلم المخلص، لكن الحكم في الطائف هو الحكم في حنين لا فضل فيه للطلقاء والأعراب وطلاب الغنائم وإنما الفضل للمهاجرين والأنصار ومن صدق من الباحثين وليس عند أصحاب معاوية دليل على صدقه في حنين أو الطائف بل ولا في اسلامه صادقا بمكة وقد سبق التفصيل في هذا.

أما تبوك فنعم شهدها معاوية وشهدها منافقون أيضا كانوا يستهزؤون بالنبي (ص) في تلك الغزوة ونزل فيهم قرآن وقد كان عمار بن ياسر يلمح إلى أن معاوية كان من الناس الذين هموا باغتيال النبي (ص) في تلك الغزوة وقد سبق التفصيل في ذلك الجزء الأول من الكتاب.

فمن شهد تبوك صادقاً كالمهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان فلا شك في فضل شهودهم أما من شهدها من المنافقين وبعض الطلقاء الذين استهزؤوا بالنبي (ص) أو هموا باغتياله فلا أجر لهم ولا كرامة، لكن لأن التصريح لم يأت في حديث عمار فأنا متوقف في الجزم بشيء.

18-وما ذكره ابن تيمية ص458 :

من التزهيد في الغزوات الأولى وتضخيمه للغزوات التي شارك فيها معاوية كحنين والطائف وتبوك يدل على نصب فإنه قال (وقد غزا النبي (ص) أكثر من عشرين غزاة بنفسه ولم يكن القتال إلا في تسع غزوات!! بدر وأحد وبني المصطلق والخندق وذي قرد وغزوة الطائف)!!

وللرد على ابن تيمية نقول:

هذا القول عجيب فأين معركة خيبر؟! ولماذا أخفاها ابن تيمية؟! هل لأن علينا كان بطلها وفاتحها؟! وهذا يذكرني بناصبي آخر معاصر وهو الدكتور الخضري الذي حذف غزوة (خيبر)[8] أيضاً!! (أتواصوا به أم هم قوم طاغون)؟!

ولم يذكر غزوة بني قريظة ربما لأن عليا كان الوحيد تقريبا الذي قتل فيهم!!

وقال في تضخيمه للغزوات التي كان فيها معاوية (وأعظم جيش جمعه النبي (ص) كان بجنين والطائف!! وكانوا اثني عشر ألفاً، وأعظم جيش غزا مع النبي (ص) جيش تبوك فإنه كان كثيرا لا يحصى غير أنه لم يكن فيه قتال)!

أقول: ما فائدة أن يذكر ابن تيمية أن أعظم جيش جمعه النبي (ص) كان في حنين والطائف وتبوك؟!

أي فضيلة في هذه لمعاوية؟! كان القلة دالة على الاخلاص بل كلما كان العدد قليلا كلما كانت القلة دالة على الاخلاص أما الكثرة فيكثر فيها المنافقون والأعراب والطلقاء.

سبحان الله، وكأن من أسلم مبكراً وكان مع النبي (ص) في أفراد قلائل لا فضل له أما من جاء للغنائم عند استغناء الاسلام عنه فيصبح هناك فضل وتضخيم!!

19-ثم يقول ابن تيمية ص459 :

> (وهؤلاء المذكورون -يقصد الطلقاء- دخلوا في قوله تعالى (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى) -ثم يكمل ويقول- فإن هؤلاء الطلقاء مسلمة الفتح!! هم ممن أنفق من بعد الفتح وقاتل وقد وعدهم الله الحسنى فإنهم أنفقوا بحنين والطائف وقاتلوا فيهما رضي الله عنهم)!! اهـ

الرد على ابن تيمية في هذا :

أولاً: شهد معاوية حنين والطائف سارقاً ومتفرجاً ولم ينفق ردهما ولا رمى بسهم ولا قاتل بسيف وإنما كسب مئة ناقة تأليفاً له!! فهذا أنفق عليه ولم ينفق شيئاً!! فكيف يزعم ابن تيمية أنه أنفق وقاتل في حنين والطائف!! هل ورد هذا في خبر معتمد أو حديث صحيح أو ذكره أهل المغازي والسير؟!

كلا لم يذكر هذا أحد قبل ابن تيمية فهذه من الأشياء التي لم يسبق إليها ابن تيمية.

ثانياً: الآية الكريمة من سورة الحديث نزلت قبل أن يسلم معاوية، والفتح هنا المقصود به فتح الحديبية لا فتح مكة.

وإذا كان كذلك يصبح المعنى لا يستوي منكم من أنفق قبل فتح الحديبية وقاتل ممن أنفق بعدها وقاتل إلى فتح مكة فلا يدخل فيها الطلقاء على أرجح الأقوال.

---

[8] تحذير العبقري من محاضرات الخضري للتباني (164/1) .

وإن دخل فيها الطلقاء دخل فيها غيرهم إلى يوم القيامة وعلى هذا يصبح التبشير بالجنة لكل من أنفق ولو درهما وقاتل ولو باللسان، وعلى هذا فكل الأمة الاسلامية عادلهم وظالمهم مبشر بالجنة وموعود بها، وهذا من الفكر الارجائي الذي نشره معاوية والنواصب بالشام ولا زال يعمل في الامة إلى اليوم.

والصواب أن هؤلاء المتفاضلين هم من قاتل وأنفق قبل فتح الحديبية مع من قاتل وأنفق بعدها إلى نزول هذه الاية وقد نزلت قبل فتح مكة فالطلقاء غير مخاطبين بالآية فإن دخلوا في البعدية دخل من بعدهم إلى يوم القيامة وهذا ما يقوله لا ابن تيمية ولا ابن حزم ولا غيرهما ممن يدندنون حول تفسير هذه الآية ليستدلوا بها على أهوائهم في معاوية.

(والتفصيل في كتابنا الصحبة والصحابة)

ثالثا: لم يصح أنهم أفقوا بحنين والطائف إلا صفوان بن أمية أعطى النبي (ص) مالاً وكان صفوان يومئذٍ مشركاً ولم يسلم النبي (ص) أكثر مما نصره معاوية ووالده وغيرهم ممن تربص بالنبي (ص) وممن انهزم به (ص) أو سرق كما فصلنا سابقاً.

صحيح أنه قد روي بإسناد ضعيف أن أبا سفيان فقد عينه يوم الطائف على شكه في الاسلام أما معاوية فلم يؤثر عنه أنه فعل في هاتين الغزوتين إلا السرقة المشهورة.

فكان شهوده شراً على المسلمين وإيذاءً للنبي (ص)؟

20-وقال ابن تيمية ص459:

> (وهم -أي الطلقاء- أيضا داخلون في من رضي الله عنهم حيث قال تعالى (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه) فإن السابقين هم الذين أسلموا قبل الحديبية كالذين بايعوه تحت الشجرة.. كانوا أكثر من ألف وأربعمائة وكلهم من أهل الجنة كما ثبت في الصحيح.. وكان فيهم حاطب بن أبي بلتعة.. وكانت له سيئات معروفة مثل مكاتبته للمشركين بأخبار النبي (ص) وإساءته إلى مماليكه -ثم ذكر حديث مملوكه الذي اشتكى- وقصة مكاتبته لأهل مكة...)

وللرد على ابن تيمية نقول:

أنا أستغرب من ابن تيمية جزمه بالأمور ومن ذلك جزمه بأن الطلقاء داخلون فيمن رضي الله عنهم مع أن الآية نفسها تشترط فيما سوى المهاجرين والأنصار -شرطاً آخر وهو (الاتباع بإحسان) ولا ريب عندي أن معاوية وبسر والحكم والوليد وغيرهم لم يكونوا من التابعين بإحسان لغلبة الظلم عليهم كما شرحنا ذلك مفصلاً في كتاب (الصحبة والصحابة)

أما إيراد قصة حاطب فالنواصب كثيراً ما يوردون هذه القصة للدفاع عن مظالم معاوية مع أن العلى قد ذكرها النبي (ص) وهي كون حاطب من أهل بدر فهو يرجو له بهذه السابقة أما معاوية فحارب النبي (ص) في الجاهلية ولما أسلم لم يحسن الإسلام لا في عهد النبي (ص) ولا في عهد الخلفاء الراشدين وخصوصا عهد عثمان وعلي رضي الله عنهما.

عهد النبي (ص) ولا بعده وخصوصا في أيا عثمان وعلي وفي عهده إذ صدرت منهم مظالم كثيرة تتنافى مع (الإتباع بإحسان) وتتنافى مع الإسلام نفسه فلا يجوز أن نقارن بين أحد البدريين كحاطب وبين أحد الطلقاء كمعاوية!! هذا ظلم للسابقين ورفع للطلقاء.

[كشف بعض حيل ابن تيمية وتلاعبه]

21-وبعد أن استدر ابن تيمية العواطف بغفران الله لذنوب أهل بدر رغم أنهم صدرت منهم ذنوب وسيئات!! يسحبنا ابن تيمية لمعاوية!! فهذه المقدمة في فضل السابقين ليست هدفاً في ذاتها!! وإنما وسيلة الهدف الآخر الذي أفصح عنه ص461 بقوله (وأما من بعد هؤلاء السابقين الأولين وهم الذين أسلموا بعد الحديبية فهؤلاء دخلوا في قوله (وكلا وعد الله الحسنى) وفي قوله تعالى (والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه) وقد أسلم قبل فتح مكة خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة وغيرهم وأسلم بعد الطلقاء أهل الطائف وكانوا آخر الناس إسلاماً وكان منهم عثمان بن أبي العاص الثقفي الذي أمره النبي (ص) على أهل الطائف وكان من خيار الصحابة مع تأخر إسلامه).

وللرد على ابن تيمية نقول:

أما الآيات فقد سبق الجواب على ما أورده ابن تيمية من معانيها وأنها لا تشمل الطلقاء ولا معاوية.

وأما خالد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة غلا يدخلون في الصحبة الشرعية لكنهم يدخلون في الذين أنفقوا بعد الحديبية وقاتلوا إن شاء الله لكن هذا لا يفيد النص على الاشخاص فلا يشد بالجنة تخصيصا إلا لمن شهد له النبي (ص) بعينه فنشهد على وجه الاجمال لاهل بدر وأهل بيعة الرضوان مع التقييد بالمشيئة فنقول إن شاء الله لاحتمال الرواية بالمعنى، والثبات على الاسلام لأنه لو ارتد أحد ممن أسلم قبل الحديبية لما جاز لنا أن نشهد له بالجنة مع وجود الردة وكذا من تغير وبدل وظلم وعسف فلا يبرر له كونه ممن أسلم قبل الحديبية أن نسكت عن ظلمه ونحذره العقوبة.

ولم يكن الصحابة يفهمون هذا الفهم الذي يفهمه غلاة السلفية من هذه الآيات والأحاديث.

22-وحتى يقرر ابن تيمية بأن تأخر معاوية في الاسلام لا يضره، يأتي ويقول ص462 (فقد يتأخر إسلام الرجل ويكون أفضل من بعض من تقدمه بالاسلام ثم يضرب مثالا بعمر بن الخطاب!! فقال (فإنه يقال إنه أسلم تمام الأربعين وكان ممن فضله الله على كثير ممن أسلم قبله....)

والرد على ابن تيمية هنا أن نقول:

السبق في الاسلام خصيصة من الخصائص لكن عمر تقدم على بعض من سبقه إلى الاسلام بخصائص أخرى ولم يشك عاقل في اسلام عمر وهجرته وجهاده واختياره الله ورسوله على الاهل والولد والوطن فكيف يريد ابن تيمية أن يشبه هذا برجل مثل معاوية مشوك في اسلامه لم يسلم إلا مع آخر الناس إسلاماً!!

ثم عمر كان يمدح أخاه زيد بن الخطاب لأنه أسلم قبلع ويفضله على نفسه في هذه الخصلة، وكذا كان بفضل زيد بن حارثة على نفسه.
ثانياً: عمر أسلم بعد (120) صحابيا وصحابية وليس تمام الأربعين كما قال ابن تيمية لأن عمر لم يسلم إلا بعد أن هاجر ثمانون إلى الحبشة إضافة لمن بقي في مكة وهم نحو الأربعين فالعبارة يقصد بها تمام أربعين ممن بقي في مكة ولا يعد في هؤلاء مهاجرة الحبشة وهذا نبهت عليه في كتاب (الصحبة) ولم أجد أحداً نبه إليه من قبل.

23-أيضاً سرد ابن تيمية ص462 الآيات التي يحاول أن يستدل بها على فضل معاوية وقد أجبنا على شبه ابن تيمية في كتاب (الصحبة والصحابة) وإن لم نسمه لكننا استعرضنا هذه الايات وتتبعنا نزولها وبينا بما لا يدع مجالا لشك منصف أنها لا تتناول معاوية ولا الطلقاء ولا الاعراب بل هذه الآيات تفيد ذم معاوية ومن لم يحسن الإسلام كما ذكرنا هناك.
24-ويقول ص463 فهذ الآية (والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا...) والتي قبلها يقصد (والذين آمنوا من بعد وهاجر وجاهدوا معكم فأولئك منكم) تتناول من دخل فيها بع السابقين الأولين إلى يوم القيامة ، فكيف لا يدخل فيها أصحاب النبي (ص) الذين آمنوا به وجاهدوا معه؟!
وللرد نقول:
أما الصحابة فيدخلون فيها على وجه الجملة وقد يخرج بعض الأفراد منهم لاساءته السيرة أو الردة أو نحو ذلك، أعني يخرج من المعنى الشرعي ومن عموم الآيات.
ما الطلقاء فلا يدخلون في الصحابة أصلا وهم مأمورون بالاستغفار للسابقين وهذا ما لم يفعله معاوية بل لعن السابقين وقاتلهم فخرج من (الإحسان) كما فصلنا ذلك في كتاب (الصحبة والصحابة)

25-قوله ص463 (وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح (المهاجر من هجر ما نهى الله عنه فمن كان قد أسلم من الطلقاء.... الخ/ هذه من الأحاديث التي لها طابع شامي في الالتفاف على الهجرة الشرعية، وتحتاج لبحث، لأن الفعل من (هجر هو هاجر ومن هاجر مهاجر)! فالأثر الأموي فيها ظاهر.
26-قوله ص463 محاولاً إدخال معاوية في المهاجرين- وقد قال النبي (ص) في الحديث الصحيح (المهاجر من هجر ما نهى الله عنه) فمن كان قد أسلم من الطلقاء وهجر ما نهى الله عنه كان له معنى هذه الهجرة، فدخل في قوله تعالى (والذين آمنوا من بعد ولم يهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم) كما دخل في قوله تعالى (وكلا وعد الله الحسنى) أهـ.
وللرد على ابن تيمية نقول:

أولاً: معاوية لم يهجر ما نهى الله عنه حتى يدخل في هذا المعنى من الهجرة فالله قد نهى عن البغي والربا والخمر والظلم ولعن المسلم الصالح وغير ذبك وهذه ارتكبها معاوية ووصف بها في أحاديث وروايات صحيحة.
ثانياً: حديث (المهاجر من هجر ما نهى الله عنه) من رواية معاوية وبعض الشاميين فيبقى في الحديث شك من حيث الثبوت إذ أن هؤلاء يدركون أن الهجرة الشرعية فلا يستبعد ما دام أنهم من الظلمة المتهمين بالنفاق أن يأتوا بحديث ويجعلوه على لسان الرسول (ص) يخلهم في شرف الصحبة الشرعية والهجرة الشرعية.
ثالثا: قوله تعالى: (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم) نزلت قبل إسلام معاوية وهي خاصة بمن هاجر قبل فتح الحديبية وإذا تجوزنا وقلنا أنها تشمل من هاجر قبل فتح مكة فمعاوية ليس من هؤلاء ولا هؤلاء وقد سبق الحديث عن الآية ونزولها وأصحابها في كتاب (الصحبة والصحابة)
رابعاً: لا يصح دخول معاوية في آية (وكلا وعد الله الحسنى) بما سبق بينه.
خامسا: من أطلق (بعد) وجعلها تشمل كل من هاجر من بلاد الشرك إلى الاسلام وأنها لا تختص بهجرة المهاجرين فهو يخالف النصوص الأخرى التي تحدد المهاجرين وتصرح بأنه (لا هجرة بعد الفتح) والحديث الآخر (المهاجرون والأنصار أولياء وبعضهم لبعض إلى يوم القيامة وطلقاء قريش وعتقاء ثقيف أوليا بعضهم لبعض إلى يوم القيامة) والحديث صحيح الاسناد.
فقوله (إلى يوم القيامة) وقوله (لا هجرة بعد الفتح) فيها رد على ابن تيمية الذي يحاول أن يدخل الطلقاء في (المهاجرين)!! والحديثان ثابتان وصريحا الدلالة.
ثم قد سبق أن قلنا أن معاوية -على افتراض صحة حديثه- فهي هجرة عامة غير الهجرة الخاصة التي تتحدث عنها الآيات والأحاديث.

27-قول ابن تيمية ص:463 :
(وقد قال تعالى (محمد والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم، تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود.. الآية) قال ابن تيمية (فهذا يتناول الذين آمنوا مع الرسول (ص) مطلقاً).
وللرد على ابن تيمية نقول:
أقول: أولاً: في الآية نفسها استثناء ورد على هذا الاطلاق فآخر الآية هو (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيماً)!! صدق الله العظيم، أما الذين لم يعملوا الصالحات وإنما عملوا المظالم وقتلوا البدريين وتاجروا في الخمور وتعاملوا الربا وسموا أبناء الانبياء فهذه الاعمال غير صالحة حتى نبشرهم بالجنة، إن ارتكبوها فالله وعد الذين آمنوا حقاً ولم يعد الذين تظاهروا بالإسلام -وإسلام معاوية مشكوك فيه على الأقل كما دللنا على ذلك في الجزء الأول- والله وعد الذين يعملون الصالحات لا الذين يعملون السيئات أو غلبت سيئاتهم على ما يذكر لهم من محاسن- إن صحت النية-

إذن فليس صحيحا أن الآية تتناول الذين آمنوا مع الرسول (ص) مطلقاً فالتخصيص موجود في الآية نفسها ولا أدري هل ذهل عنه ابن تيمية أو تركه عمداً كما ترك نصوصا أخرى عمدا ونحن نجزم أنه لا يجهلها فالله أعلم بنيته.

ثانيا: الآية نزلت في وصف المهاجرين والانصار فقط وليس منهم معاوية، فقد نزلت قبل فتح مكة بسنة أو سنتين.

ثالثا: معاوية ليس من الأشداء على الكفار ولا من الرحماء بالمسلمين ولا من المكثرين في العبادة وهذه صفات جمهور المهاجرين والأنصار.

فمعاوية كان أيام قتاله عليا يدفع لصاحب الروم الجزية فأين (أشداء على الكفار) وهو يقاتل أهل بدر ويتسالم مع الكفار!! وأين الرحمة بالمسلمين عندما سجن النساء وتتبع أزواجهن لقتلهم كما فعل مع زوجة عمرو بن الحمق الخزاعي التي سجنها معاوية وأمر بمطارة زوجها والبحث عنه فقتلوه وأمر معاوية بإهداء رأسه إلى زوجته وهي في السجن!!

أين الرحمة بالمؤمنين خصوصا وأن عمرو بن الحمق هذا أفضل من معاوية على أقل تقدير فقد أسلم قبله وهاجر ولم يهاجر معاوية. وقتل حجر بن عدي صبرا مع أصحابة ، وقتل وال من ولاته سبعين ألفا ظلما وعدوانا، فأين العدل والرحمة؟!

وقتلت جيوش معاوية عشرات البدريين ومئات الصحابة وسبت النساء المسلمات (كما فعل بسر بن أبي أرطأة قائد من قواد معاوية) فقد أخذ نساء همدان المسلمات وباعهن في السوق فأين الرحمة بالمسلمين؟! وقائده بسر ذبح طفلين لعبيد الله بن العباس أمام أمهما فكادت تجن فأين الرحمة؟!

وكانت غاراته تنهب وتسلب وتهرب إلى الشام، فأين (رحماء بينهم) من معاوية؟!

معاوية كان رحميا بالنصارى في الشام وتزوج منهم فهم أخوال ابنه يزيد وولاهم واستأمنهم على بيت المال.

وكان شاعرهم الأخطل يدخل على معاوية ولحيته تقطر من الخمر وينشد ويذم الأنصار أصحاب رسول الله (ص) الذين قال فيهم (لا يحب الأنصار إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق) وغير ذلك كثير وكثير من المظالم التي لو فعل بعضها أحد البدريين لربما أحبط الله أعماله وشك المسلمون في عدالته فكيف وقد فعلها طليق بن طليق حزب من الأحزاب قد جاء ذمه وذم طائفته على لسان النبي (ص).

وحقيقة أنا أستغرب لماذا يتحول ابن تيمية سامحه الله من عالم بالقرآن إى جاهل به عندما يتحدث عن معاوية وبني أمية!!

فنحن نقرأ له تفسيرات أخرى فيها من الفوائد واللطائف الشيء الكثير ونحبه ونقدره عند قراءتها لكنه يتغير كثيرا إذا تحدث في الموضوعات التي تخاصم فيها مع الاشاعرة أو الشيعة وتنتابه ردى فعل عنيفة يفقد معها صواب العبارة وقوة الحجة.

28-ثم يقول ابن تيمية ص463 :

(وقد استفاض عن النبي (ص) في الصحاح وغيرها من غير وجه أنه قال (خير القرون القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)

أقول: ويقصد أن معاوية من القرن الذي بعث فيهم النبي (ص) فهو من خير القرون؟!

والرد على هذه الشبهة في غاية السهولة:

فنقول لابن تيمية: كان في القرن الأول أبو جهل وأبو لهب وعبدالله بن أبي وكان فيه الوليد بن عقبة (الفاسق) والمختار (الكذاب) والحجاج (الظالم) فهل يجوز الدفاع عن الكفار والمنافقين والظالمين الذين عاشوا في القرن الأول بهذا الدليل.

إن قال نعم، ثبت كفره بلا مثنوية.

وإن قال: لا إنما أقصد من صلح عمله فنقول هذه قلناها لك من قبل، قلنا بأن الآيات والأحاديث في مدح هذه الأمة كلها -فضلا عن القرن الأول- إنما ينصرف للصالحين العادلين الصادقين ولا يجوز تعميم هذا ليشمل الكفار والمنافقين والظلمة.

فقوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس...) إن أريد بها مطلق الأمة -كما في ظاهر الآية- فأقل الناس عقلاً وديناً يعرف أن في هذه الأمة الصالحين والفاسدين، أن فيها المؤمنين والمنافقين فالمدح لا ينصرف إلا على من يستحقه من أهل الخير والعدل والصلاح، أما على منطق ابن تيمية فيمكن لأحد المنافقين أن يدافع عن عبدالله بن أبي ويقول(كيف تتهمونه بالنفاق وهو من القرن الأول الذين وصفهم النبي (ص) بأنهم خير القرون؟! وكيف تذمون المختار وهو من خير القرون؟! وكيف تذمون الحجاج وهو من خير القرون؟ وهكذا ولا أظن أن هذا المعنى يخفى على ابن تيمية فهو من الأذكياء لكن النصب يعمي ويصم كالرفض تماما.

ثم لماذا نجد ابن تيمية يهاجم الثوار على عثمان ويذمهم ويذم الخوارج والمرتدين وكل هؤلاء في القرن الأول الذي بعث فيهم النبي (ص)؟!

إذن فقول النبي (ص) إنما ينصرف للصالحين في القرن الأول الذين نشروا العلم والخير والعدل وكانوا سببا في صلاح من بعدهم ثم كان من بعدهم من الصالحين فقد سببا لمن صلح من القرن الثالث وهكذا، فأجر اللاحق يدركه السابق وزيادة في الجملة، بسبب دعوته إلى الخير لأن من دعا إلى هدى كان له من الأجور مثل أجر من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا فالمهاجرون والأنصار لهم أجرهم وأجر التابعين بإحسان وهؤلاء التابعون بإحسان لهم أجرهم وأجر من اهتدى بهديهم وهكذا... ثم إن القرن المراد به (الناس الذين يعيشون في عصر واحد) فقد يكون القرن الأول فيه ثلاثة أصناف الناس يسمى كل واحد قرنا وهذا مفصل في غير هذا المكان[9].

---

[9] لي بحث في الحديث سندا ومتنا ودلالة ضمن (سلسلة الدراسات الحديثية) لم يكتمل.

لكن سواء كانت المدة قرنا أو ثلاثة أو أكثر فالثناء والمدح لا ينصرف على الظالمين والمنافقين وإنما ينصرف على الصالحين فإذا فهم القارئ هذا الكلام على بساطته وسهولته - اختصر عليه أشياء كثيرة[10].

29- أما ذكره ابن تيمية ص464 من اختصام خالد بن الوليد مع عبدالرحمن وقوله (ص) (يا خالد لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدكم ولا نصيفه) قال ابن تيمية (قال ذلك لخالد ونحوه ممن أسلم بعد الحديبية بالنسبة إلى السبقين الأولين يقول: إذا أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصف مده) وهؤلاء الذين أسلموا بعد الحديبية دخلوا في قوله تعالى (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) بهذه المنزلة.

فالرد عليه سهل أيضاً:

المسلمون بعد الحديبية إلى فتح مكة داخلون في الذين (أنفقوا من بعد وقاتلوا) وهم موعودون بالجنة -بشرط إحسان الاتباع الواردة في آية أخرى فلا يجوز أخذ بعض القرآن وترك بعض-.

ومعاوية لو افترضنا -وهذا لم يحصل- أنه أسلم وهاجر بعد الحديبية وقبل فتح مكة لما كان هذا مبررا له لفعل المظالم ولا يجوز الاحتجاج بالآيات المجملة لتبرير المظالم مثلما لا يجوز لأحدنا أن يقول أنا من الأمة الخيرة بنص القرآن (كنتم خير أمة أخرجت للناس) وإذا كنت من خير الأمم فلن يعذبني الله ولو فعلت وفعلت.. فهذا الكلام غير صحيح وفيه تلاعب بأقوال الله عز وجل.

بل كان بعض المبشرين بالجنة فضلا عن غيرهم يتمنون وأنهم يموتون لا لهم ولا عليهم مع تلك الآيات والأحاديث في فضلهم الخاص والعام لأنهم يخشون أن يون الفضل والتبشير بالجنة مرتبط بشروط ويخشون أنهم قد خالفوا تلك الشروط وأحدثوا أشياء أو وقعوا في بعض مطامع الدنيا ونحو هذا مما هو أقل بكثير مما ارتكبه بعض ولاة معاوية فضلا عن معاوية نفسه.

فلماذا يا ترى -يبكي بعض المهاجرين والأنصار ويتمنى بعضهم أن يكون شجرة تعضد وتمنى آخر أن يكون بعرة وهكذا... لأنهم يفهمون تلك الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة غير فهمنا لها وربما لو أدركنا نحن ذلك الزمان ونزلت تلك الآيات مثل (وكلا وعد الله الحسنى) لربما تركنا أركان الاسلام إلا الشهادتين وارتكبنا كل محرم زاعمين بأن الله قد وعدنا ولا يخلف الله وعده؟! عجبي!! الله وعد المؤمن الثابت على ايمانه أما أن يؤمن اليوم ويكفؤ غدا أو ينافق أو يبدل ويغير فلا، (مالكم كيف تحكمون) وكيف تتعاملون مع الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة بهذا الفهم الذي لم يكن عليه أحد لا من الصحابة ولا التابعين ولا صالحي الأمة وإنما كان عليه مرجئة أهل الشام وملوكهم الذين سرت فينا عقائدهم إلى اليوم.

---

[10] بعضهم أخذ يبالغ في القول بضعف الحديث ظناً منه أن الثناء يشمل الحجاج ويزيد ومعاوية وغيرهم.

أما قصة اختصام خالد عبدالرحمن ففيها أبلغ الأدلة في اخراج معاوية من الصحبة ومن حسن الاتباع.
لأن خالد سب عبدالرحمن بن عف سبا خفيفا فقال (أتنفسون علينا أياما سبقتمونا بها) أما معاوية فسب عليا سبا شنيعاً (اللعن ونحوه) وخالد سب عبدالرحمن ذلك السب الخفيف مرة واحدة ومعاوية سب عليا أكثر من عشرين سنة واستن بسنته كل ملوك بني أمية إلا عمر بن عبدالعزيز.
وخالد أفضل من معاوية وعلي أفضل من عبدالرحمن بن عوف ، فلو سب خالد عليا لكان إنكار النبي (ص) أشد فكيف لو سب معاوية عليا في عهد النبي (ص) كيف سيكون إنكار النبي (ص)؟!
أما بعض غلاتنا اليوم فيزعمون أن معاوية مأجور على لعن علي بن أ]ي طالب أجرا واحداً لأنه -بزعمهم الأعوج- اجتهد!
أقول: نعم اجتهد في الباطل أما الاجتهاد في البحث عن الدليل فلا أظن عاقلا يرى أن الأدلة في تحريم لعن أهل بدر مشتبهة وتحتاج إلى اجتهاد!!
وصدق من قال (لقد ترك لنا معاوية في كل زمن فئة بالغية) ترتب الاجر على لعن السابقين وتستدل بالقرآن الكريم على مدح الظالمين!!
على أية حال: الحديث فيه اخراج لمن أسلم بعد الحديبية من الصحبة الشرعية وتبقى الصحبة العامة مشروطة بحسن الاتباع الذي منه عدم سب السابقين والاستغفار لهم ومعاوية لم يدخل في هؤلاء ولا هؤلاء.

30- وأما قول ابن تيمية ص464 :
(والصحبة اسم جنس تقع على من صحب النبي (ص) قليلا أو كثيرا لكن لكل منهم له من الصحبة بقدر ذلك...)
فالرد عليه يقول:
هذا في الصحبة العامة نعم وهذه الصحبة العامة يدخل فيها المنافقون والكفار، كما في قوله (ص) (حتى لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصابه) ويقصد بهم المنافقين.
أما الصحبة الخاصة الشرعية فلا يدخل فيهم إلا من أطال الصحبة وأحسن العمل وهم المهاجرون والأنصار وقد يخرج منهم أناس فلا يسمون صحابة لاتهام بنفاق أو شك في ذلك أو تردد لكن لا يدخل في الصحبة الشرعية غيرهم حتى لو أحسن العمل إنما من أحسن العمل فله فرصة أخرى في للدخول في (التابعين بإحسان) أما الهجرة والنصرة فق سبق إليها من أسلم قبل الحديبية وأحن الاسلام وبقي في المدينة.
أما الصحبة العامة فنعم يدخل فيها المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان والتابعون بغير إحسان والظلمة والمرتدون... الخ.
وهذا كله مفصل في كتابنا (الصحبة والصحابة)

31-أما استدلال ابن تيمية بحديث:

(يغزو فئام من الناس فيقولون هل فيكن من صحب النبي (ص) وفي لفظ (هل فيكم من رأى النبي (ص) فيقولون نعم فيفتح لهم...

فالرد على ابن تيمية هنا من وجوه:

أولاً: اللفظ الثابت هو (من صحب) وليس (من رأى) فكلمة (من رأى) مروية بالمعنى تفرد بها زهير بن حرب شيخ مسلم وخالفه جماعة من الثقات رواها بلفظ (من صحب) وهو الصحيح.

ثانياً: إن كان كذلك فما المانع أن يكون (من صحب) الصحبة الشرعية التي سبق شرحها، أن تكون في حق من صحب النبي (ص) وأحسن الصحبة وليس من صحبه وأساء الصحبة،

ثالث: بعض الأخوة يرى أن الحديث ضعيف لأنه لم يتحقق ولم نسمع بوقوع هذه الحادثة ولم تنقل لنا والنبي (ص) لا يخبر إلا بحق لكنني لا أرى هذا الرأي لاحتمال أن الحادثة لم تنقل إلينا فما كل حادثة نقلت.

رابعاً: قوله ابن تيمية (فقد علق النبي (ص) الحكم بصحبته وعلق برؤيته..)

أقول: سبق أن قلنا أن الحديث مروي بلفظين وأن اللفظ الصحيح هو (من صحب) لا (من رأى) لكثرة رواته وقوتهم وأصبح لفظ (من رأى) لفظاً شاذاً كما عند أهل الحديث[11] والشاذ لا يحتج به.

وقال ابن تيمية أيضاً: (وجعل النبي (ص) فتح الله على المسلمين بسبب من رآه مؤمناً به)

قلت: سبق الجواب بأن اللفظ الصحيح هو (من صحب) وحتى لو افترضنا ثبوت (من رأى) بل (ومن صحب) فلا تدلان إلا على من رآه وصحبه من أصحابه الشرعيين لا من رآه من المنافقين أو الطلقاء أو الاعراب فإن تمسكنا بظاهر الحديث دخل فيه المنافقون لأنهم رأوا النبي (ص) وكانوا يجاهدون للغنائم وللدنيا فيمكن على هذه الحدية في الطرح والتمسك بالألفاظ الضعيفة أن نقول: ليس هناك دليل على أن هذا الذي صحب أو هذا الذي رأى مؤمناً صادق الايمان وإنما قد يون منافقاً لأن المنافقين صحبوا ورأوا؟! فماذا يكون الجواب هنا؟

إذن: فلا يجوز التعنت في الاستدلال لأن هذا التعنت والمبالغة في الاستلال بالألفاظ الضعيفة أو الالفاظ غير الدالة غير الدالة على المقصود يضرب بالبحث العلمي ويضرنا في مواقع أخرى لا نتنبه لها فلا بد من الاطراد في الاستدلال وترك المظنون الثبوت لقطعي الثبوت وترك المظنون من الأدلة لقطعي الأدلة ونرتب القطعيات ومراتب والمظنونات مراتب ولو فعلنا هذا لما استدللنا بخيرية القرن الأول في الثناء على ظلمة القرن الأول.

32- أما قوله ص465 :

[11] الشاذ مخالفة الثقة لمن هو أوثق منه وقد خالف زهير بن حرب جماعة من الثقات في هذا الحديث -راجع الصحبة-.

وهذه الخاصية لا تثبت لأحد غير الصحابة ولو كانت أعمالهم أكثر من أعمال الواحد من أصحابه (ص).

وللرد على هذا نقول:

سبق الجواب على أكثر هذا لكن ما ذكره غير صحيح لأنه الخاصية ثبتت للتابعين وتابعي التابعين في الحديث نفسه ولفظ (يغزو فئام من الناس فيقولون: هل فيكن من صحب النبي (ص) فيقولون نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس فيقولون هل فيكن من صحب من صحب رسول الله (ص))قلت وهؤلاء هم التابعون) فيقولون نعم فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس فيقولون هل فيكم من صحب من صحب من صحب رسول الله (ص)؟
(قلت: هؤلاء أتباع التابعين) فيقولون: نعم، فيفتح لهم.

أقول: فهذه الخاصية كما نرى في الصحابة والتابعين وتابعي التابعين وهذا من أوضح الأدلة على أن المراد الصالحين من كل هؤلاء لأنه لا يخالف عاقل في أن الحجاج الظالم والمختار الكذاب ويزيد الفاسق من التابعين!! فهل لهم فضيلة الحديث ويصحبون أفضل من كل الجيوش التي كانوا فيها؟! فإن قلتم: نعم خالفتم النصوص الشرعية في ذم هؤلاء وخاصة المختار والحجاج (مبير وكذاب) وذممتم التابعين ذماً شديداً بأن أفضلهم (كذاب أو مبير) وأنهم لا يستنصرون على العدو إلا بأكذب الناس وأظلم الناس.

وإن قلتم: لا، لا يدخل هؤلاء وإنما يدخل الصالحون من التابعين، قلنا كذلك لا يدخل في الصحابة إلا من أحسن الصحبة ولا يدخل من وصف بالفسق أو الظلم أو البغي أو من استهزأ منهم بالرسول (ص) ونحو هذا، فالحجة في إدخال كل الصحابة تدخل كل التابعين وإدخال كل التابعين في الصالحين ذم للاسلام وأهله ووصمة عار لا يستطيع اليهود والنصارى ذمنا بأكثر منها، والكلام في اتباع التابعين كذلك فقد كان فيهم من نذمه ذما شديدا، ففتشوا في التاريخ ويزيد والوليد وبسر وأمثالهم أبلغ عبرة لمن له مسكة من دين أو عقل.

33-ثم بنى ابن تيمية على الادلة السابقة سواء المظنونة منها أو الضعيف -وقد رأيتم ذلك- الثناء على معاوية ص466 فقال: (إذا تبين هذا[12] فمن المعلوم التي يعلم بها إيمان الواحد من الصحابة هي الطريق التي بها يعلم إيمان نظرائه والطريق التي تعلم بها صحبته هي الطريق التي يعلم بها صحبة نظرائه فالطلقاء الذين أسلموا عام الفتح مثل معاوية وأخيه يزيد وعكرمة وصفوان بن أمية والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وقد ثبت بالتواتر عند الخاصة إسلامهم وبقاؤهم على الاسلام إلى حين الموت)

والرد على ابن تيمية هنا أن نقول:

[12] لم يتبين شيء يصلح مستمسكاً قويا لما سيقوله ابن تيمية والمقدمات التي ذكرها بين دليل صحيح لا يدل على ما ذهب إلي (كالآيات والأحاديث) وبين ضعيف أو موضوع قد سبق بيانه، فانظروا كيف يعتني بهذا المتشابه ويترك الأدلة الصريحة المخالفة.

أما قوله بأن الطريق التي يعلم بها إيمان الواحد من الصابة هي الطريف لتي يعلم بها إيمان نظرائه فصحيح في الجملة وإنما قلت في الجملة لأن بعض الأنصار كان منافقاً فمثلماً جاء مؤمنوا الأنصار وبايعوا النبي (ص) على الاسلام جاء منافقون وبايعوا النبي (ص) على اسلام فالطريقة واحدة لكن القلوب ليست واحدة!!

وكذلك الطلقاء منهم من أخلص وصدق كسهيل بن عمرو وعكرمة بن أ]ي جهل ومنهم من شك بعض الصحابة والتابين في اسلامه مثل الحكم بن أ]ي العاص وأبي سفيان ومعاوية ومنهم من ارتد ولحق بالروم وهذا أصرح من غيره فكيف يقول ابن تيمية أن الطلقاء بقوا على الاسلام إلى الموت وقد ثبتت ردة بعضهم؟!

كان من الأفضل أن يقول: معظم الطلقاء أو كثير منهم لم يؤثر عنهم نفاقا ولا تهمه وبقوا على الاسلام ظاهراً إلى الموت ونحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر.

أما من ارتد من الطلقاء وهرب إلى الروم فلا يجوز أن ندعي فيه ذلك كذلك من شكك بعض الصحابة في اسلامهم كما شككوا في الاسم معاوية وابي سفيان والحكم بن أ]ي العاص فهؤلاء لا يجوز الدفاع عنهم بحسن إسلام من أسلم من الطلقاء.

لكن ابن تيمية سامحه الله لم يكتف بالدفاع عنهم بحسن إسلام بعض الطلقاء وإنما ذهب لآيات وأحاديث نزلت في المهاجرين والأنصار فجعلها شاملة لمعاوية!!

34-ثم قال ابن تيمية ص466:

(ومعاوية أظهر إسلاما من غيره.....)

أقول: إن يقصد أنه أظهر اسلاما من المهاجرين والأنصار ومن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وبقية العشرة وأهل بدر فهذا غلو كبير، لا ينقص عن غلو من يطلق عليهم: (الرافضة) وإن قصد أن معاوية أظهر إسلاما من غيره من الطلقاء -بحكم أن الكلام عنهم- فهذا أيضا غير صحيح فهو متهم وكثير من الطلقاء غير مهتمين أو تهمتهم أخف من تهمة معاوية.

أما طول المدة التي تولاها في الشام فليست دليلا على صحة الاسلام وقد يخفى حاله على عمر وعثمان مثلما خفي على عمر أسماء المنافقين حتى سأل عنها حذيفة وأم سلمة.

فالمنافقون لا يعرفهم كل الصحابة وقد كان حذيفة يلمح في أكثر من حديث إلى كون معاوية منهم!! ولأن هذا (تلميح) فقط دون (تصريح) فنحن نتوقف ولا نحكم بصحة اسلام أو نفاق وإن كنا نجزم بشيء من النفاق على الاقل لظهور علاماته في معاوية كبغض علي والانصار مثلا.
فهذه النصوص الشرعية تتحدث ولا نتحدث نحن.

35-أما قول ابن تيمية ص466 :

(وسلم إليه الحسن بن علي الأمر عام أربعين الذي يقال له عام الجماعة لاجتماع الكلمة وزوال الفتنة بين المسلمين)!!

فالجواب عليه من وجوه:

أولاً: ابن تيمية يجهل كثيراً من التاريخ حتى التواريخ والأحداث المشهورة أجده يهم فيها وهماً فاحشاً، فتسليم الحسن أو صلح الحسن ومعاوية كان في سنة 41هـ لا سنة 40 هـ كما يقول!!

أما تسميته (عام الجماعة) فهي تسمية شامية وهي من (العائد) التي تسربت لأهل السنة من النواصب حتى أصبحوا يثنون على هذا العام أكثر من ثنائهم على قتال علي للبغاة والخوارج مع أن النصوص في الامر الأخير متواترة وصريحة أما صلح الحسن فالحديث فيه مختلف فيه بين الوصل والارسال وكان للحسن ظروفه من تفرق الناس عنه ومكاتبتهم معاوية واتباعهم للدنيا إلا القليل الذين لا يستطيع الحسن الانتصار بهم، وقد سبق لأنبياء أن هزموا وقتلوا كنبي الله زكريا وابنه يحيى عليهما السلام فقد ذبحهما الكفار كما تذبح الشياه ولم يعد عاقلا ذلك انتقاصا من حقهم فكذلك المسالمة مع الخصم عند عدم وجود القوة الرادعة لا يعد انتقاصا.

أما الكلمة فلم تجتمع الا دعوى فقد كان بنو أمية -معاوية وولاته- بعد الصلح يلعنون عليا على المنابر فأين الكلمة التي اجتمعت؟1

اضافة لما سبق شرحه من تقتيل وبغضاء وتفرق بين القلوب وثورات....الخ

أما ما ذكره من زوال الفتنة بين المسلمين فهذا القول مبني على تعريفه وفهمه للفتنة بأنها (القتال بين المسلمين)!! بغض النظر عن المحق فيها والمبطل وكأن كل الناس فيها (مذمومون) وهذا مردود بكتاب الله وسنة رسوله (ص).

أما الكتاب فالله قد أمر بقتال الفئة الباغية وإذا بغت فئة من حيث المعنى العام بأن بعضهم افتتن وحارب أهل الحق وبعضهم افتتن وشك في أهل الحق!! وهذا خاصل فبعضهما إلي اليوم مفتون يشك ور يدري هل الحق مع علي أو مع معاوية!!

وهذا كما قال حذيفة(وهو أعلم الناس بالفتن) (إنما الفتنة أن يعرض عليك الحق والباطل فلا تدري أيهما تركب)!! وهذه الفتنة سببها معاوية حتى أصبح بعضنا يظن أنه مأجور على هذه المظالم!!

أما معارضة هذا الفهم -فهم ابن تيمية للفتنة- للسنة فالنبي (ص) أمر بقتال الخوارج وقد ظهروا في (الفتنة) وأمر بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين وقد قاتلهم علي بن أ]ي طالب (في الفتنة).

فالفتنة بهذا المعنى صحيح وهو وجود تلك الطوائف في فتنة تفتن بعض الناس حتى (يختلط عليه الحق والباطل) كما قال حذيفة ، ولذلك وجدنا حذيفة يأمر باتباع علي في هذه الفتنة وعلى هذا فتجنب الفتنة المذمومة يكون في اتباع الحق لا في المساواة بين الحق والباطل، والباطل كما اراد له معاوية يحصل فحصل عند من لم يفرق بين البدريين والطلقاء، ولا بين علي ومعاوية وقد ذم الله عز وجل من لم يفرق بين الأمور المتباينة كما في قوله عز وجل (أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون)؟! وقال عن بعض هؤلاء (صم بكم عمي فهم لا يعقلون) وفي آية)لا يرجعون) ولا أجد هذه الصفات متحققة إلا فيمن يظن أن معاوية مأجور

على قتل عمار بن ياسر ولعن علي بن أ]ي طالب وسم الحسن بن علي وذبح الأطفال وسبي المسلمات!!

ما أدري أي فتنة أصابت من يرون هذا الرأي (ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً) وكفى بهذه فتنة وأي فتنة.

36- وأما تعريضه بالإمام علي بقوله ص466:

(وهذا الذي فعله الحسن رضي الله عنه مما أثنى عليه النبي (ص) كما ثبت في صحيح البخاري وغيره عن أ]ي بكر رضي الله عنه أن النبي (ص) قال (ان ابني هذا سيد..... الحديث). فجعل النبي (ص) مما اثنى به على ابنه الحسن ومدحه على أن أصلح الله تعالى بين فئتين عظيمتين من المسلمين....)

فالرد على ابن تيمية هنا هو:

أولاً: أبو بكر الصديق لم يرو هذا الحديث وإنما رواه أبو بكرة الثقفي (من أصحاب الصحبة العامة) فلعل الوهم جاء من الطباعة أو من ابن تيمية.

ثانياً: الحديث مختلف في صحته[13] والصواب أنه مرسل والحديث -إن صح- لا يفيد الثناء على الملك العضوض ولا التشكيك في شرعية قتال علي للبغاة لثبوت هذا كله في أحاديث أصح وأصرح وأكثر.

37-أما تعريضه الأوضح بالإمام علي في ما ذكره ص467 من ثناء النبي (ص) على الصلح وترك القتال -لاحظ تعريض ابن تيمية بقتال علي للبغاة!!- ثم يصرح ويقول (دل هذا على أن الاصلاح بين تلك الطائفتين كان أحب إلى الله تعالى من فعله!!)

أقول: وترجم هذا القول الشيخ محمد بن عبدالوهاب بقوله (وكان ما فعله الحسن أحب إلى الله ورسوله مما فعله والده علي)!!

وزاد ابن تيمية (على ان الاقتتال لم يكن مأمورا به!!)

وللرد على ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب فهو:

أما الشيخ محمد بن عبدالوهاب فنعذره لأنه مقلد لابن تيمية ونواصل في الرد على ابن تيمية ونقول:

أولاً: لن نكرر القول بأن ابن تيمية بني كل هذه الأقوال على أدلة دون أدلة -إن سلمنا بأن حديث صلح الحسن في القوة كحديث عمار- وحديث الزبير وحديث الناكثين ونحوه.

ثانياً: لماذا يعبر ابن تيمية بتعبير (الاقتتال) بدلا من (قتال البغاة والخوارج)!!

فعبارة (الاقتتال) فيها مساواة بين من (يدعو إلى الجنة ومن يدعو إلى النار) كما هو نص حديث عمار في صحيح البخاري!!

---

13 راجع الرد على الغيث.

وفيه خلط أيضا بين العدل والبغي بين علي ومعاوية بين أهل بدر والطلقاء بين أصحاب الشجرة وأعاريب لخم وجذام!!
وهذه هي الفتنة التي يتحدث عنها حذيفة (عندم يعرض عليك الحق والباطل فلا تدري أيهما تركب)!!
ونسي ابن تيمية أو تناسى أن الامر بقتال البغاة وشاقي العصا مأمور قرآنا وسنة ولكنه لا يتذكر هذا إلا عندما يثور أهل العدل على أهل الظلم أما عندما يثور أهل الظلم -بشهادة النبي (ص) عليهم بالظلم- على أهل العدل بشهادة النبي (ص) فهذا يسميه (اقتتال) لم يكن مأموراً به)؟!
ومتى يا ترى يكون مأمورا به؟1 إذا لم يكن قوله تعالى (فقاتلوا التي تبغي) وقوله (ص) (تقتل عمارا الفئة الباغية) وقوله (ص) إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الاخر منها) وقوله (من جاءكم وأمركم جميع ليفرق جماعتكم ويشق عصاكم فاقتلوه) كل هذه الادلة لا تدل عند ابن تيمية على الامر بقتال الفئة الباغية بينما تدل على الامر بقتال المظلومين كالحسين بن علي وأهل المدينة وصالحي أهل العراق من أصحاب الأشعث وغيره؟!
سبحان الله! ومع ذلك يغضب مني بعض الاخوة الكرام إن قلت أن ابن تيمية أموي الهوي وأنتم ترونه يجادل عنهم بالباطل (ها أنتم جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة)
ثم يقول: (ولو كان معاوية كافراً لم تكن تولية كافر وتسليم الامر إليه مما يحبه الله ورسوله)
أقول: هذا صحيح لو سلمنا أولاً بصحة الحديث ولو سلمنا ثانيا بما فهمته من الحديث بأن الله ورسوله أحبا الصلح، ولو سلمنا ثالثا بعدم وجود أحاديث متواترة تخالف ما فهمته من هذا الحديث الفرد ولو سلمنا رابعاً بقدرة الحسن على المقاومة وعدم اضطراره إلى الصلح ولو سلمنا خامساً بأن الجميع كان يعلم أن معاوية منافق أو كافر.
ثم لعل في عصرنا الحاصر أبلغ دلالة على أنه من الجائز الصلح مع الكافر وجواز تسليم الأمر إليه فكثير من الجماعات الاسلامية ينصحها العقلاء بتسليم الأمر لولاة كافرين وعدم قتالهم كما في بورما وصربيا وبلغاريا وروسيا وغيرها فلو قامت جماعة اسلامية في بلد من هذ البلدان وقاومت فهي مأجورة إن شاء الله لكن لو تصالحت أو تصالح أمير الجماعة مع حاكم تلك الدولة على أن يتاح لجماعته حقوقاً ولو أقل من المطلوب لكنها تبقى أعلى من (الابادة الجماعية) فإن أميرها يمدح على فعله ويكون فعله مما يحبه الله ورسوله.
وصلح الحسن كان له فوائد كثيرة ولو قاوم بما معه لكانت الاضرار أكثر[14].

38-ثم يقول ابن تيمية ص467:

[14] هذا مفصل في كتابنا (صلح الحسن) وقد سبق شيء من هذا في كتاب (العقائد) وفي الرد على الغيث من هذا الكتاب أعني كتاب (النقض الكبير).

(بل دل الحديث على أن معاوية وأصحابه كانوا مؤمنين كما كان الحسن وأصحابه مؤمنين...).

والرد على ابن تيمية هنا :

أولاً: نرى ابن تيمية يستخدم تعبير (مؤمنين) بدلا من (مسلمين) الواردة في نص الحديث!! لأن السؤال عن (إسلام معاوية وهل كان ايمانه كإيمان غيره!!) فالحكم بالإيمان حكم بالإسلام فلذلك يكثر منه ابن تيمية هنا!! وهذا من ذكائه غير المستند على دليل.

ثانياً: إذا وُصفت طائفتان بالإيمان فهذا على سبيل التغليب أو التسمي بالإسلام كما في قوله تعال (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا...) فقد كانت احدى الطائفتين منافقة على الاغلب لكنها متسمية بالإسلام فيحكم عليها بالظاهر، لأن قائدها يوم نزول الآية كان عبد الله بن أبي بن سلول، فإذا أفادت الآية إيمانه وإيمان من معه فهي تفيد إيمان معاوية ومن معه، وقد سبق أن ذكرنا أن للإطلاقات القرآنية مستويات تعرف من السياق، فإسلام إبراهيم عليه السلام غير إسلام الأعراب، وكلاهما مأمور به في القرآن فتدبر هذا.

39-ثم ذكر حديث أولى الطائفتين ص467 أنه ثبت في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري أنه قال (تمرق مارقة من أمتي على حين فرقة من الناس فتقتلهم أولى الطائفتين بالحق) ثم ذكر ابن تيمية أن (هذا الحديث الصحيح دليل على أن كلا الطائفتين المقتتلتين علي وأصحابه -على حق- وأن عليا وأصحابه كانوا أقرب من معاوية وأصحابه!!

ثم ذكر أن الخوارج هم المارقة...

وللرد عليه نقول:

أولاً: الحديث ليس في كلا الصحيحين وانما انفرد به مسلم.

ثانيا: ابن تيمية أيضا يأتي لمتشابه الأدلة ويترك الصريح منها.

فكلمة (أولى) هنا أو (أقرب) وكل فعل على وزن (أفعل) التفضيل لا تدل في كل أحوالها على الاشتراك.

بمعنى لو قلنا أن النبي (ص) أولى بالله من الكفار لما دل هذا على ثناء على النبي (ص) والكفار وأن الفرق بينهما يسير!!

ولكن لو قلنا إن المشركين أقرب إلى الحق من اهل الحديث لكان هذا مستقيماً.

والدليل على ذلك أن الله عز وجل قد ذكر عن رسول الله والكفار قوله (أينا أولى بها صليا) فليس معنى هذا أن النبي (ص) وأصحابه يستحقون النار لكن الكفار أولى؟!

ماهذا الفهم؟!

وقوله تعالى (اعدلوا هو أقرب للتقوى)

ليس معناه أن الظلم والعدل كلاهما قريبان من التقوى لكن العدل أقرب؟!

وكذلك عندما نقول (علي أولى بالحق من معاوية) ليس معناه كما زعم ابن تيمية (أن كلا الطائفتين المقتتلتين عليا وأصحابه ومعاوية وأصحابه كانوا على حق وأن عليا كان أقرب)!!

سبحان الله! كيف نقول هذا وقد بين لنا النبي (ص) في الحديث الآخر أن فئة تدعو إلى الجنة وأخرى تدعو إلى النار!!

هل الداعي إلى الجنة والداعي إلى النار كلاهما على حق؟! لكت الداعي إلى الجنة أقرب؟!

هذا سؤال اطرحه على مقلدي ابن تيمية!!

والشاميون كان تيمية وغيره كثيراً ما يلجأون للمتشابه كهذا الحديث وحديث صلح الحسن ويهملون حديث عمار المتواتر وهو فيصل في الموضوع وحاسم ولا يحتمل التأويل اللهم إلا التأويل الفاسد، فالتأويل الفاسد يلجأ اليه حتى مبطلو النبوات والشرائع ومنكرو الوحدانية فهذا ليس كلامنا معهم إنما كلامنا مع المسلمين الذين يبحثون عن مراد الله ومراد رسوله لا مراد أهل الباطل.

ثم لسنا مكلفين بالدفاع عن أهل الباطل ولا الدفاع عن الدعاة إلى النار إلا إذا كنا نسك في عدالة النبي (ص) فهذا شيء آخر.

فالذي يحكم عليه الله أو الرسول أو كلاهما بالظلم أو الباطل فيجب التسليم والا لما كان ايماننا خالصا لوجه الله.

يقول تعالى(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم...) ونحن الأن للأسف ى نحكم الرسول (ص) فيما شجر وإنما نحكم أبناء الفئة الباغية الذين يرون (أن الداعي إلى النار) معه بعض الحق!! وأن لاعن علي على المنابر مأجور!!

ولو حكمنا محمد بن عبدالله (ص) لما احترنا فيمن هو على حق أهم الدعاة إلى الجنة أم الدعاة إلى النار يا ترى؟!

ومن هذه النقطة دخل علينا غلاة الشيعة وألزمونا وأصبحنا أمامهم ضعفاء كل يوم ينضم إليهم بعض أبناء أهل السنة ظناً من أولئك الأبناء بأن جميع أهل السنة لا يفرقون بين الجنة والنار ولا بين حق علي وباطل معاوية...

أما لو كان منهجنا قوياً فنمدح من مدحه الله ورسوله ونذم من ذمه الله ورسوله بالادلة الصحيحة المتفق عليها لا المشتبه في ثبوتها أو دلالتها، لو فعلنا هذا لعرفنا المحسن والمسيء ولقرأنا التاريخ قراءة تبني الفضيلة وتنفي الرذيلة.

بدلا من الخلط بين الجنة والنار والحق والباطل والعدل والبغي كما هو الحاصل للأسف عند كثير من مؤرخينا السنة، كل هذا نفعله ونظن أننا نحسن صنعاً وندافع عن الصحابة ونتبع السلف الصالح ونحسن الظن ونحافظ على سلامة العقيدة.... إلى آخر ما هنالك من الالفاظ العامة والانشائية التي نرى أن أكثر المنادين بها من أوضح الناس مخالفة لها عند التأمل اليسير لكل عاقل.

وفي الخاتمة نقول :

هذه مسودة في ردود سريعة على جواب ابن تيمية طلبها مني بعض الأخوة فأعطيته له خاصة، ولا أرى نشرها حتى أستكمل مسائلها، وستنشر إن شاء الله مصححة كاملة ضمن كتاب

(معاوية قراءة في المناقب والمثالب) وضمن كتاب (النقض الكبير) وهو رد على أخطاء ابن تيمية في حق الإمام علي بن أبي طالب رضي اله عنه وكرم وجهه وحق أهل بيته وأنصاره التي كان معظمها في منهاج السنة لابن تيمية.

تعقيب قبل النشر:

هكذا كنت لا أرى نشر ها البحث ، ثم رأيت نشرها اليوم لما فيها من الفوائد، وقد قرنتها في رسالة لم تكتمل بعنوان (إسلام علي وإسلام معاوية عند ابن تيمية) وقارنت بين إسلام الرجلين عند ابن تيمية وقد رأيت الهول من نصب الرجل وتعصبه في نظرته لإسلام الرجلين، بحيث أنه شكك في إسلام أول الناس إسلاماً وأحب الناس إلى قلب رسول الله صلوات الله عليه، بينما رأيتم هنا كيف ضخم من إسلام طاغية من أبغض الناس إلى رسول الله صلوات الله عليه، وهذا هو النفاق ، أن يكره المسلم ما أحب الله ورسوله (وعلي ثبت بالنص أنه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله) وكذلك من النفاق حب من أبغضه الله ورسوله، ونحن نشهد أن الله ورسوله يبغضان الظلم وأهله، والبغي والدعوة إلى النار وتغيير سنن الحق، ونحن نشهد أن الجميع يعرف النصوص في تثبت هذا ، لكنه النفاق الذي تم تخفيفه تحت مسمى (النصب) ثم تم ضم هذا النصب إلى بيت (السنة الواسع) ثم تمكن النصب وترعرع واشتد عوده، وبدأ يطرد (أهل السنة الحق)من البيت الذي دخله محتمياً من عقوبة شرعية، ثم أخرج أصحابه معتدياً مستحقاً لعقوبة شرعية أخرى!.

والنصب اليوم هو المسيطر على السلفية بل ربما على أهل السنة، وهو عقيدة خفية ذكية شيطانية توقفك في الإجابات الوسطى، فلا يرتفعون لحق صريح ولا ينخفضون إلى باطل كاشف! وبهذا قادوا العامة والغوغاء والحمقى.. واستحلوا بهذه العقيدة دماء المسلمين وظلمهم وغشهم ..

هذه التعقيب كتبه حسن المالكي

الرياض

حي طويق / شوال / 1433 هـ